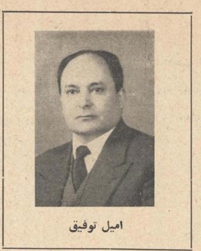


اميل توفيق

التنظيم الاقتصادي في المجتمع البدائي

بقلم اميل توفيق

* * *

ان الوظيفة الاقتصادية لاية جماعة انسانية انما هي نتاج ثلاثة عوامل هامة متفاعلة ، وتتمم الواحدة منها الاخرى — وهذه العوامل هي : العامل الشكلي — والعامل المادي — والعامل السيكلوجي .

فالعامل المادي يختص بالعلاقة بين المجتمع وموارد البيئة . والعامل الشكلي يختص بالتنظيم الاجتماعي (اي بشبكة الالتزامات الاقتصادية بين الافراد ، وبمركز كل فرد في مجتمعه) . اما العامل النفسي فهو يختص بصفة عامة بمسألة القيم في الحياة الاجتماعية .

على ان هناك عاملا رابعا هو العامل التاريخي الذي بموجبه تنتقل وتتعدل وتتغير الطرق والوسائل الخاصة بتفاعل المجتمع مع البيئة ومواردها ، او بتفاعل المجتمع من حيث القيم الانسانية .

ولقد تطورت طرق استغلال الانسان للبيئة في الانتاج قبلما يصل الى مرحلته الحالية ، فمر في مرحلتين هامتين هما مرحلة الصيد ، ومرحلة الرعي والزراعة .

مرحلة الصيد وجمع الطعام وقطف الثمار

لقد اعتمد الانسان في غذائه النباتي على قطف الثمار كما اعتمد في غذائه الحيواني ، وملبسه ، على الصيد البري والصيد البحري . وقد امكنه ان يتعلم فنون القنص والصيد والخروج منفردا احيانا او في جماعات احيانا اخرى . وفي حين ان الصيد البري كان يقتضي العزلة والانفراد والتنقل ، كان الصيد البحري يقتضي التعاون والتجمع . وكان من نتيجة ذلك ان الصيد البحري قد سمح للشعب الذي يعتمد عليه ان يقيم في بقعة واحدة لا يغادرها . ولذلك اتيحت لشعوب الصيد البحري ان تنشىء المدن والقرى وتكوّن الجماعات . ويقدر علماء الاركيولوجيا ان هذه المرحلة استغرقت ٢٠٠ الف سنة .

المرحلة الثانية : رعي الانعام والزراعة

أ — اما الرعي فقد حل محل الصيد البري ، وفي حين ان الصيد يقضي باستهلاك الحيوان ، فالرعي يقضي باستئناسه وتربيته والاكثار من عدده ، وقد ترتب على الرعي ان اصبح للانسان اوقات للفراغ استغلها في العمل (فوضع البذور الاولى للصناعات) ، وفي التأمل (فوضع الاسس الاولى للنظرات الفلسفية والفيزيقية) . فاستئناس الحيوان كان اول مقوّم لكثير من مظاهر الحضارة الانسانية . بيد ان الرعي كانت له مساوئه واهمها التنقل وعدم الاستقرار الذي يحول دون تكوين الحكومات ودون نمو الحياة الاجتماعية والعمرانية .

ب — اما الزراعة فقد ظهرت مع رعي الانعام او بعده بقليل ، وقد استغلهما الانسان معا في اشباع حاجاته . والزراعة تقوم على اساس تربية النباتات والعمل على اكثار عددها وكمياتها . ويبدو من دراسة الحقب التاريخية الباكرة ، دراسة اركيولوجية ، ان الانسان بدأ يغرس الاشجار قبلما يصل الى مرحلة زراعة الحبوب . فان الاخيرة تطلبت ادوات والات امكن اختراعها فيما بعد . وقد قضت الزراعة ان يتعلم الانسان طائفة من الاعمال كالحرث والرعي وجمع الحصاد وطحن الغلال وتجهيز الخبز بما في ذلك من تخمير للعجين الخ . كما تطلبت الزراعة من الجماعة الانسانية ان تستقر وان تستمر وان تتعود النظام في العمل ، وان تفكر في الغد ، وان تحسب حساب الفصول ، وان تضع التقاويم ، وان يفيض عنها الغذاء فتقدمه قرابين للالهة . وان تتأمل تأملات فائقة كانت البذرة الاولى للعلوم المتزجة بالسحر او بالدين البدائي . وهكذا وضعت الزراعة اللبنات الاولى في صرح الحضارة الانسانية . على اننا ينبغي ان نفهم ان المجتمعات الانسانية لم تتطور على نفس ذلك النسق ، كما ان من الجائز ان المجتمع الواحد يحتفظ بالمرحلتين الاقتصاديتين المذكورتين اذ من الجائز ان تجتمع الزراعة والرعي الى جانب الصيد . بل ان المجتمعات المتخلفة التي تعاصرنا لتحتفظ فعلا بما كانت عليه منذ الاف السنين . والان لنتأمل كيف تعمل العوامل المختلفة في الاقتصاد البدائي ممثلا في النموذجين التاليين :

المراجع : (١) Anthropology : Boas

(٢) الاقتصاد السياسي : الدكتور علي عبد الواحد وافي .

قبائل الزوناي الهندية

وهؤلاء يعيشون في نيومكسيكو الغربي ويعتمدون اساسيا على الزراعة ورعي الاغنام ، وهم يسكنون في تكتل في قرية تجمعهم ، مع وجود « محلات » يهرعون اليها خارج القرية في مواسم الحصاد .

والزوناي يعيشون في مستوى مرتفع للمعيشة . فتفيض عنهم الثروة كالفائض من الحنطة التي يمكن ان تكفيهم لمدة عام كامل ، او كالاغنام ، او كالملابس التي يملك كل فرد منهم عددا محترما منها ، ومن احجار الزينة كالفضة . واهم ما تمتاز به جماعة الزوناي هو تقدم النظام الاقتصادي من ناحية الاتجاهات التعاونية والتدابير المتعلقة بالتعاون ، وبعدم وجود المنافسة، وباختفاء السلوك العدواني . ان الثروة عندهم تنتقل بسهولة من يد الى اخرى ، فهي لذلك غير خاضعة للجشع او لحب التملك. وللملكية عندهم قيمة عملية واقعية فهم يرونها في الاستعمال المباشر لا كوسيلة للقوة او للمجد اما القوة او السلطة فانها تكتسب بطريق امتلاك ميزات معنوية مثل الطقوس والاغاني واشباه الاحجية ، ورموز الشرف في الحروب . وهذه جميعا لا تستخدم لاغراض اقتصادية .

والرجل الفقير بين قبائل الزوناي هو الرجل الذي ليست له ارتباطات طقسية او علاقات احتفالية خاصة بالاحتفالات الدينية . ان تلك المبادىء لترتبط بموقفهم (الفكري) من الكون وهو موقف الانسان المطمئن الشاكر المعترف بالنعم والخيرات . فالزوناي يؤمنون انهم جزء من عالم جميل فيه الالهة والارواح العلوية والاسلاف الذين ارتقوا الى مصاف الالهة . وهؤلاء في عرفهم هم الذين يمدونهم بالبركات والحاجات المادية .

وتتضمن ديانتهم نظاما دقيقا لاحتفالات جماعية ، تعمل على دعم صلات المحبة بينهم ، وتوثق العلاقات الايجابية ، وعلى كل فرد في تلك الحفلات ان يشارك ، حسب مركزه الاجتماعي ، بنصيبه في المنح الجماعية . ان ايمانهم بالقدرية المتفائلة لاكبر مشجع لسلوكهم المتناهي في الكرم ، والبعيد عن العدوان والتناحر .

وعلى رغم ان القبيلة هي الوحدة الاجتماعية في الشئون الهامة فان (البيت) او الاسرة هو الوحدة الاجتماعية فيما يختص بشئون الحياة العادية . والنسب في الاسرة نسب امي . فالبيت يضم جماعة من النساء وخلفاؤهن بطريق ذلك النسب . والمراة تلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند جماعة الزوناي . اما العمل في البيت فيقوم به الرجال الذين يقيمون فيه بسبب الزواج من احدى فتيات الاسرة . والزواج فردي ، ولكنه ليس وثيقا اذا قورن برباط القرابة . ولا تصبح للرجل مكانة في بيت زوجته (حيث يقيم) الا اذا كبر اولاده . فعلى الرجال ان يعملوا جماعيا فيما يملك النساء من عقار او أرض . وليس عند الزوناي معاني الربح الا انه يعم على مجموعة افراد البيت الواحد .

وللزوناي عادات وتقاليد اجتماعية عريقة يمتزج فيها الاقتصاد والدين . ففي سبيل القيام بعمل كبير كبذر البذور او كالحصاد ، او كبناء مسكن ما ، يخف الرجال لدعوة جماعة من ذوي القربى والاصهار ، او من انصارهم في الحفلات الطقسية ، ومن جيرانهم لكي يسهموا ويشاركوهم في ذلك العمل الكبير . اما الرجال الذين يلبون الدعوة تعاونا منهم ومشاركة ، دون ما الزام او ضغط ، فانهم يذهبون حيث العمل في الحقول (او في البناء) . واما زوجاتهم فانهن يقمن بمعاونة نساء البيت في كل ما يتطلبه من اعمال . وبعد انتهاء العمل اليومي يحتفل الجميع في حفل ساهر يكون بمثابة عيد عظيم . ففيه تستقبل الزوجات الهدايا من مختلف انواع الطعام. وينبغي ان يفهم ان الاهداء ليس فيه فرض او الزام بل يكون عن طواعية وكرم وعن محبة وسرور اذ يرون في ذلك العيد نوعا من المشاركة في يوم اجتماعي ممتع يستروحون فيه متع التعاون والايناس . فضلا على انه يتيح للفرد المشارك ان يجد الاصدقاء ملبين مرحبين عندما تاتي الفرصة السانحة ، ويأتي دوره في الدعوة الاجتماعية . وعند هذه القبائل يعرف ما يسمى باحتفالات الصداقة التي تمتاز بتبادل الهدايا بين المحتفلين . والتبادل لا يخضع الى شروط المقابلة الدقيقة بين الهديتين . فقد يهدي الرجل الغني شيئا من الفائض لديه الى من يشعر انه في حاجة الى ذلك الشيء . ويتسلم هدية لا توازيها قيمة . ان الاهداء عندهم يخضع للنظام الديني وللروح السامية التي يمتازون بها في مجموعهم . وتلك هي اهم نقطة اقتصادية للاعياد القبلية، فان ظاهرتي الاهداء والاحتفالات الخاصة بالعمل وما يترتب عليها انما تتوقف على الاتجاهات التعاونية من جانب الجماعة ، وعلى الشعور بالمسئولية من جانب الفرد نحو اهله واقرانه وجيرانه .

قبائل الكواكيوتل

تقطن قبائل الكواكيوتل جزر كولومبيا البريطانية وسواحلها ـ وهي بقاع غنية بمواردها وثرواتها . وقد امكن هؤلاء السكان ان يصلوا الى اساليب متقدمة في استغلال بيئتهم الى اقصى الامكانيات . فهم يستغلون الصيد البحري (حيث تكثر انواع السمك) ، كما يستغلون الغابات الغنية بالجذور والثمار ، والصيد البري (الماعز) من اعالي الجبال . ولكن الغذاء الرئيسي الذي يعتمدون عليه في معاشهم هو سمك السالمون الذي يصطادونه بكميات وافرة باستخدام شباكهم الكبيرة . وهم يجففونه في صناديق خشبية مخصصة لذلك . كما انهم يحتفظون بزيت السمك في اواني خاصة . وفي شهر الصيف يجففون

أنواعا من الدرنات والثمار بقصد استهلاكها في الشتاء .

وبعد ان يقضوا موسما مليئا بالعمل والعناء ، يلفون انفسهم في فراغ يملأونه بما يمتع غرورهم وكبرياءهم وحبهم للعظمة والتنافس . وهم يسكنون بيوتا كبيرة ، وكل بيت يضم عدة عائلات ، ولكن كل عائلة تعيش معيشة مستقلة في ركنها الخاص الذي يشتمل على موقد ومخزن ومختلف انواع المتاع .

ولكل مجموعة من الاسر عمدة معين هو رئيس البيت اما الوحدة التي تجمع مجموعة الاسر فهي وحدة النسب الذي ينحدر فيعرفهم من سلفعلوي يعتبرونه جدهم الاكبر .

والقرى مبنية على الساحل حيث تسكن تلك المجموعات فتشرف على البقاع المختلفة التي تشتمل على اراضي الصيد البري وحقول الثمار ، واماكن الصيد البحري على ساحل البحر ، وهذه جميعا مقسمة الى ملكيات محددة تملك كل مجموعة من الاسر بعضا منها ، واذا حدث تهجم ما او اقتحام على تلك الملكيات فانه يقابل بمنتهى القسوة . اما الملكية المعنوية فأهم اشكال الملكيات، وهي تتضمن تملك الاسماء او الالقاب الشرفية والميزات الاجتماعية المختلفة كالرقص والاغاني والاساطير والعلامات او الشارات التي تميز تلك الاسماء . ورغم ان تلك الالقاب الشرفية مما يورثه الاباء لابنائهم كان امتلاكها في حوزة اصحابها لا بد ان يعزز من الناحية الاجتماعية باستمرار وذلك بواسطة عملية اقتصادية هي توزيع الممتلكات المعنوية واتلاف الثروة .

اما توزيع تلك الممتلكات فانه يحدث في احتفالات الاعياد التي تسمى عندهم البوتلاتش والدافع الرئيسي للبوتلاتش هو المنافسة لا الربح او الانتفاع ، حقيقة قد يدخل الربح في كثير من المعاملات ولكنه يعتبر في تلك الحالات وسيلة لا غاية . وشرف المرء او مجده ، لا يكتسب بامتلاكه للثروة ، ولكن بالقدرة على منحها او اهدائها . وتقدم الممتلكات المختلفة في مناسبات عديدة للاهداء لجماعة المتنافسين فاذا ما قدم احدهم هدية ما ، فانه ينتظر في الوقت المناسب هدية اكبر منها . فكأنما الاهداء نفسه عملية استغلالية ، لان المهدى اليه مدين لمهديه بما هو اكبر مما اكتسب ، والواقع ان هذه العملية تظل مستمرة — في المناسبات المختلفة طالما ظل المتنافسون ، اصحاب الالقاب ، قادرين على الوفاء بما عليهم من هدايا . فاذا عجز احدهم عن ذلك الوفاء ، تنحى وخرج من المعركة مغلوبا وسلم ما لديه من القاب شرفية الى ابنه الذي يدخل معركة المتنافسين بدوره من جديد .

اما السلع التي تتناولها عملية الاهداء فأهمها الزوارق، والاطباق ، والحشايا ، ولكن الجزء الاهم الذي يدخل في عملية البوتلاتش يتألف من وحدات للثروة متفق عليها هي البطاطين التي تصنعها شركة خليج هدسن ، فالواحدة منها تساوي ٥٠ سنت . وفي بعض المعاملات يقتضي تحويل قطع نحاسية بأشكال الدروع . والقطعة الواحدة منها تقوّم بما تحمل من اسم معين ومن تاريخ خاص بهذا الاسم . وتستبدل هذه القطع النحاسية بالبطاطين ، وكل قطعة تزيد قيمتها في كل عملية استبدالية . ويعلو شرف المتنافس او يزيد كلما اهدى من البطاطين في مقابل القطعة النحاسية اكثر من سابقه . وقد قلّت في وقتنا الحاضر هذه المعاملات ، بهذا الشكل ، بسبب تدخل الحكومة الكندية .

وبالاختصار نقول ان الاهداء يحدث بين جماعات يتنافس رؤساؤها على الاحتفاظ بمراكز القمة في الهيئة الاجتماعية بواسطة عملية الاهداء في حفلات البوتلاتش وهي الحفلات الخاصة بطبقة النبلاء منهم الذين يحملون اسماء الشرف في ارستقراطية مطلقة .

ويسند كل نبيل منهم جماعته التي تجد شرفها في تشريف رئيسهم وفي تكريمه بحيازته للالقاب، وما يترتب على ذلك من ميزات دينية (تؤكد مركزه الديني في الرقصات والاغاني وما اليها) ؛ ومن ميزات اقتصادية وعمرانية يستطيع بواسطتها القيام بالمشروعات التي تعود بالصالح على جماعته . كما انهم يسندونه باعارته في وقت الحفلات والاعياد بالبطاطين التي يمكنه بها ان ينزل حلبة المنافسة امام منافسيه .

فالنظام الاقتصادي عند هؤلاء نظام يتبع حب التنافس والعظمة بحيث لا تبقى مكانة اجتماعية للضعيف منهم او للمتواضع . كما تندحر كل فردية لا تهتم بجماعتها فتهملها او تقسو عليها . او بعبارة اوضح لا مكان للانانية الفردية ، في الوقت الذي تعلو فيه كل انانية عصبية جماعية . في حين ان الزوناي بطبيعتهم ايثاريون اشتراكيون .

بورسودان — اميل توفيق

السـراب الـراوي

●

أكلّما طافَ بي من عرسها قَدَحُ ... على الشراب طَفَا من بؤسها شَبَحُ
دُنيـا تهزُّ أغانيهـا كـآبتَهـا ... عندي، ويُوقظ من أحزانها الفَرَحُ
كم دمعةٍ غلَّها جفني وأَمْسَكَها ... تَسَاقَطَتْ منه لمَّا هزَّني المَرَحُ
خَوْفي على الصبح يهوي نحو مَغْربهِ ... أذاقني الخَمْرَ جمراً حين أَصْطَبِحُ
أَغصَّ نفسي بمرعاها ونغَّصَهُ ... على فؤاديَ تفكيري بمن ذُبِحُوا

***

تسجو الرياحُ وفي نفسي مخاوفها ... تهزُّ دوحةَ أحلامي وتكْتَسِحُ
هذا الصفاءُ على نفسي يكدِّرهُ ... أَنَّ العبابَ سَيَطْوي فيه من سبَحُوا
يا ويحَ نفسي كم غرَّتْ بنظرتها ... حسناً تجلَّى لها في ثوبه القُبُحُ
دنياكِ تثأرُ ممن شقَّ مئزرها ... دعي مقاذرها بالزهر تَتَّشِحُ
دعي لنفسك أسراراً تتوق لها ... الشيءُ لا شيءَ يغدو حين يتَّضحُ
يحنُّ شوقيَ والابوابُ مقفلةٌ ... إلى الدخول ويَخبُو حينَ تَنْفَتِحُ

***

وِردُ السراب شفى نفسي وعَلَّلها ... فصنْتُ عنه إنائي خَوْفَ يَفْتَضِحُ
ما ضرَّني وهي روحي منه راويةٌ ... أنْ تَكْتَوي جرَّتي أو يَظْمَأَ القَدَحُ

فارس سعد

الحصان والثور – قرات مرة في كتاب، لا اذكر الان عنوانه ولا اسم مؤلفه، حكاية الحصان والثور . ولكنني ارى ان من الافضل ان نترك الثور الان لنتحدث عن الحصان فقط:

« الحصان – اذن – لا يعرف انه يجب ان يموت، وليس له ما يؤمن به بعد الحياة . ولو عرف الحصان انه لا بد له ان يموت لاصبحت مشكلة الموت – حتى لديه – اعظم اهمية من مشكلة الحياة .

وليس من شك في ان توفير العلف والحشيش مسألة خطيرة جدا، ولكن من خلف هذه المسالة تبرز القضية الاخرى، وهي: «لماذا يجب ان نموت دون ان نعرف لاي سبب عشنا، بعد ان قضينا عشرين او ثلاثين سنة في البحث عن العلف والحشيش ؟ »

ان الحصان لا يعرف انه لا بد ان يموت، ولا يخطر في باله مثل هذا السؤال . اما الانسان – وهو كما يعرفه شوبنهاور: حيوان ميتافيزيقي، او بمعنى اخر: حيوان يعرف انه يجب ان يموت – فان هذا السؤال يظل ماثلا امامه مدى الحياة » .

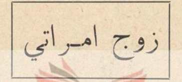
ويترتب على ذلك – ان لم يخطىء ظني – ان على جميع الآدميين ان يغبطوا الحصان، واهم من ذلك ان اولئك الحيوانات الميتافيزيقية التي حينما تكون مريضة، مثلي مثلا، لا تعرف فقط انها يجب ان تموت قريبا، بل تعرف فوق ذلك ما سيحدث في بيوتها بعد موتها، ولكنها مع ذلك لا تملك الحق في ان تخجل منه .

ان الشمالة لا تكون صافية ابدا، وقطرات الشمالة التي اتجرعها تزيد المرارة في داخلي يوما عن يوم . وانا اذ املأ هذه الصحائف القليلة، فانما احاول بهذا ان اعزي نفسي تعزية لها مثل طعم مياه البحر – تعزية لن احس بها يوما – فتدرك امراتي حينذاك انني كنت على علم بكل شيء.

لقد خطرت لي هذه الفكرة صباح اليوم، وسبب ذلك ان زوجتي فاجأتني في ممر المنزل خلف باب قاعة الاستقبال، مخفيا اراقبها من ثقب الباب صامتا، فصاحت بي:

– انت يا من لا يعرف معنى الغيرة، ماذا تفعل هناك ؟ لقد رايتك! لقد خلعت حذاءك لئلا يسمع لك صوت !

ونظرت الى قدمي... كنت حافيا حقا ! وكانت زوجتي تقهقه قهقهة عالية ... ماذا اقول ؟ لقد حاولت ان اختلق اعذارا سخيفة جدا، كأن اقول انني لم اكن اتجسس عليها اطلاقا، وانما دفعني الفضول الى النظر حينما لم اعد اسمع صوت



للروائي الايطالي لويجي بيرانديللو

ترجمة عيسى الناعوري

البيانو، ولا رايت المعلم يغادر المنزل، وهلم جرا...

ولكنني اقسم ان حذائي – مع الاحترام – قد خلعته منذ مدة دون قصد، فقد كانت قدماي تؤلمانني، وهي – زوجتي العزيزة ابوفيميا – التي فاجأتني حافيا، كان يجب ان تعرف لماذا يؤلم الحذاء قدمي، لا ان تضحك من ذلك، على الاقل امامي، ففي قدمي اورام، وانا اعالجها خداعا للزمن، واضغط عليها باصبعي حتى يغوص فيها، ثم ارفعه وامضي انظر اليها كيف تعود فتنتفخ من جديد ..

غير ان هذا لا يعني انني لم ارتكب حماقة لا تغتفر . ولكنني كنت وما ازال اعرف ان زوجتي لا تطيق معلم الموسيقى هذا ! ثم انني على يقين، يقين اكيد جدا، من انها لن تخونني – ما دمت حيا ! – فهي لم تخني خلال السنوات العديدة الماضية، ولن يضيرها ان تستمر كذلك شهرين اخرين .. او فلنقل اربعة اشهر او ستة !؟ لكن لا، انا واثق من انها ستصبر حتى لو طال الزمن سنة اخرى ...

ثم انني اعرفه، اعرفه جيدا ذلك الزوج (المقبل !) لامراتي ! وحتى من ناحيته استطيع ان اضع يدي في النار دون خشية من ان تمسني بسوء ما دام انفي يشم الهواء!

وهذا طبيعي، فهو صديق عزيز علي جدا، انه شاب ممتاز .

شاب ؟ ليس كذلك تماما في الواقع، فعمره اربعون سنة، مثل عمري تقريبا، غير انني ابدو ابن مئة عام، اما هو فما يزال قوي الجسم، راسخا في مغرس الحياة كالسنديانة في الغاب . وهو الى ذلك يتوافر فيه – كما كان يقول الاقدمون « كل ما ينبغي توافره في الزوج الكامل من الجوانب الحسنة » : عادات مهذبة، وطبيعة كريمة ودمثة جدا. والبرهان هو ما يبذله لي من العناية، فهو، مثلا، يأتي كل يوم بسيارته ليأخذني للنزهة، فيمد لي ذراعه ويساعدني على نزول الدرج رويدا رويدا، ويجبرني على التوقف على بسطات السلالم، وعلى عطفة كل سلم، الى ان يعد الى المئة، ثم يجس نبضي ليعد ضرباته، وينظر في عيني، ويسالني برقة :

– هل نتابع النزول ؟

– لنتابع !

وهكذا حتى نبلغ الارض على مهل. وعندما نعود الى الصعود بعد النزهة، يحملني هو من جهة والبواب من جهة اخرى على كرسي الى فوق .

لقد ثرت على ذلك ولكن دون جدوى . صحيح انني لا استطيع ان اقطع سبعة صفوف من السلالم،

لان الضغط عند ذاك سيصبح غير محتمل . ولكن ما العمل ؟ انني لا احب ان اثقل على صديقي من جهة، ومن جهة اخرى لا بد ان يجد البواب انسانا اخر يساعده ... غريب ! لو استطاع فلورستانو لحملني وحده الى فوق دون ان يساعده احد ! وانا على كل حال خفيف الوزن (خمسة واربعون كيلوغراما فقط ، مع كل ما بي من اورام !) . ثم انني اعتقد انه يرمي من وراء خدمتي الى ان يضمن لنفسه سعادة المستقبل . فلندعه يفعل ذلك !

وامراتي ايوفيميا ايضا ، من جهة اخرى ، تكاد تكون سعيدة بأن تتألم من اجلي ، ولعلها ترغب في مزيد من الالم ، لكي تفوز هي ايضا امام نفسها بحق التمتع بالحياة فيما بعد دون ان تخشى تقريع الضمير . حق شريف، وجزاء شريف جدا لا يمكن ان تنكره الحياة ولا الضمير . واكرر ههنا انه ليس لي ان اخجل من ذلك !

ولا بد من الاعتراف بانني كثيرا ما اتمنى ان يكون هذان المخلوقان وغدين لئيمين ، لان نبل قصدهما وسمو مشاعرهما يصبحان لدي احيانا ابشع انواع القسوة . ولانني لن املك بعد الموت اية قدرة على التمرد على ما سيحدث، لذلك كثيرا ما اراني مضطرا الى ان آخذ طفلي الوحيد ، مثلا ، بين ساقي ، وامضي اعلمه ان يحب ذلك الرجل الذي سيصبح عما قريب اباه الثاني، وان يعامله باحترام بنوي ، واحذره من تكديره او التسبب في تذمره ، فأقول له :

ـ انظر يا كارلو الحبيب : ان يديك وسختان . اتذكر ما قاله لك امس العم فلورستانو حينما راى بقعة الحبر على انفك ؟ لقد قال لك : « اغتسل والا قبضوا عليك ! » . انه لم يقصد ذلك فعلا بل كان يمزح ، فلم يعد الناس يسجنون الان بسبب وسخ ايديهم ، ولكن عليك ان تغتسل على كل حال لان العم فلورستانو يحب الاولاد النظيفين . انه طيب القلب ، ويحبك كثيرا يا كارلو الحبيب، وعليك انت ايضا ان تحبه كثيرا جدا ، فاهم؟ وان تطيعه ، فاهم؟ وان تجعله راضيا عنك دائما . هل فهمت يا ولدي العزيز ؟!

واروح اعظم في عينيه كل هدية يقدمها اليه لينال بها رضى ايوفيميا، والطفل المسكين يعمل بنصائحي ، فيحترمه ويسترضيه . فمنذ ايام ، مثلا ، اخذه فلورستانو معه للنزهة ، ولما عاد حكى لي وهو يضحك انه بينما كانا يسيران معا ويعبران الساحة والشمس تغمرها ، وقف كارلو في نقطة معينة واطلق صرخة متألمة ، وقال يسأله :

LUIGI PIRANDELLO

•

ـ هل آلمتك يا عمي فلورستانو ؟

ـ كلا يا كارلو ، لماذا تؤلمني ؟

فأجابه الطفل ببراءة تامة :

ـ لقد دست على خيالك يا عمي فلورستانو !

لا ... هذا كثير ! ليس الى هذا الحد يا كارلو . لقد كنت طفلا احمق! الظل يمكنك ان تدوسه ، والعم فلورستانو وكذلك امك سيدوسان يوما على ظل ابيك دون ان يخشيا ايلامه ، على الرغم من انهما في حياته يتحاشيان ان يدوسا حتى على احدى قدميه .

اية منافسة في اللطف والمجاملة نقوم بها نحن الثلاثة ! واي استشهاد صابر في الوقت نفسه ! انني لاود لو استطيع ـ كانسان مريض ـ ان ادع الامور تجري كما تشاء ، الا انني اجدني مجبرا على ان ابتعد ما استطعت عن ان اثقل عليهما بشيء لئلا اضطرهما الى مضاعفة العناية بي ، وزيادة العطف علي ، وهذا يضايقني احيانا ، بل يرعبني .

قد اكون على خطأ ، غير ان هذا المشهد من مدنيتنا الممتازة ، ومن رسمياتنا المتواصلة امام عتبة الموت، يبدو لي ضربا من المزاح السمج المثير للقرف . انهما بهذه القفافيز الصفر والمجاملات التي لا تنتهي انما يدفعانني الى هذه العتبة دفعا، ويبدو لي الان انهما سينحنيان لي وعلى شفاههما ابتسامة عذبة ويقولان لي :

ـ اعبر ، مع السلامة ! وثق من اننا سنظل نذكرك دائما ، كقد كنت انسانا طيبا ، عاقلا ، تحكم المنطق والعقل !

لقد علماني اننا يجب ان نكون صادقين ... صادقين ؟ لكن الصدق عندي معناه « القتل » دون ادنى ريب ، وقاني الله منه ! ولكن من ترى سيمنعني من الاقدام عليه ؟

لنتكلم قليلا جادين : لو لم اكن مؤمنا ؟ لولا ايماني بالله حقا ، ولو كنت بدلا من هذا الايمان اعتقد بأن الموت يضع الحد النهائي للنفس من كل عقاب او ثواب ، وانني حين لا تعود الارض تحت قدمي يغمرني العدم المطلق وحده ، افتظنون انني اتأخر عن قتل فلورستانو ؟ !

في بعض الليالي حين افكر في اثناء الارق انه سيضطجع هناك مكاني في سريري، وتصبح له جميع حقوقي على زوجتي وعلى اشيائي الاخرى ، وحينما افكر في ان طفلي اليتيم في الغرفة الاخرى قد يأخذ في البكاء في بعض الليالي ، فينادي امه ، واتصور ان فلورستانو قد يقول عندئذ لزوجته التي تهم بالنهوض لتبادر الى اجابة نداء الطفل الباكي : « لا يا

عام ينقضي

**

ساسهر معك ... اشهد
اخر خطوة من خطواتك
واسير بنظري ... مع
اخر لمحة من اختفاء خيالك
واعيش في قلبي ... مع
اخر نفس يموت في احتضارك
ساسهر معك ... اشهد
ثانية محدودة ولمحة خاطفة
تميتك ... لتحيي مرورك بعد
فاصل وهمي من حدود الايام
ساسهر لاشهد
وهم الناس في تقسيم الزمان
ساسهر ... كي لا اموت معك

اطويك ، وماذا اطوي فيك
آمال تشرئب من مدفنها
احلام تنتحر في رمسها
اصوات الايام تبح
في حناجر السنين
واغفاءة الليالي تصحو
في حيرة الفجر
اطويك ، وكيف اطويك
من اعماقي .. انكساري يناديك
من كآبتي ، كل ما بي فيك
ومن شح الايام استجديك
اطويك وماذا اطوي فيك
وفي تطلع قلبي كيف احييك

حلب — توفيق اليازجي

عزيزتي ، دعيه يبكي ، ولا تنزلي عن سريرك لئلا تصابي بالبرد ! » عند ذاك ، اقسم لكم ، انني اود من كل قلبي ان اقتل فلورستانو !

غير انني اجلس كل ليلة عند النافذة هادئا كل الهدوء ، واروح اتأمل السماء طويلا . هناك نجمة صغيرة صغيرة تظل عيناي عالقتين بها ، وكثيرا ما اناجيها قائلا :

ـ انتظريني ، فأنا قادم !

واما ايوفيميا ـ وهي ابنة احد المفكرين الاحرار ، فكثيرا ما اقول لها:

ـ آمني ايتها الحمقاء ، فان الله موجود ، واشكريه ! افاهمة انت ؟ اشكريه !

فتنظر الي ايوفيميا مستغربة ان اقول لها ذلك ، انا (لوكا ليوشي) مع انه ليس لي ـ في نظرها ـ ما يحملني حقا على الايمان ، ما دام الله نفسه يعاملني هذه المعاملة السيئة ليميتني عاجلا . ولكنها ستشكره حتما حينما تقع في يدها هذه الاوراق القليلة ، اذا كانت تحب فلورستانو من قلبها .

انني ادرك جيدا ان الرغبة الوحيدة ههنا هي ان اموت حالا ، فأنا احيانا ارى فلورستانو يحاول بعينيه وتنهداته ان يبث زوجتي الاشواق التي تعذبه . مسكين ! واتخيل عندئذ زوجتي مسندة راسها الاشقر الى صدره العريض المربع ، تداعبه وتحسس عليه بتودءة ، وتمر باثنين من اصابعها فقط على الشعر الاحمر الطويل في شاربيه العظيمين ... يا للذة ! ...

مهلا انت ايضا يا عزيزتي ايوفيميا! فمثل هذه الاقوال الليلية التي اعتدت ان تقوليها لي وانت في حضني ، ستقولينها له ايضا قريبا ، دون ان تشعري بترديدها : « يا كنزي الغالي ! ... آه ! ايها الحبيب ! نعم ، نعم ! حبيبي ! حبيبي ! »

ويعن لي ان اضحك ، ان اضحك ! فيدهش كلاهما ويسألانني لماذا ضحكت؟ فأجيب بان نكتة قد خطرت لي ، فيقول فلورستانو :

ـ ستهرم يا عزيزي (ليوشي) وانت ما تزال هكذا تحب الدعابة !

ولكنني كثيرا ما لا استطيب حتى الدعابة ، كما يقول صديقي ، بل تصبح خفة الروح ـ على الرغم مني ـ ضيقا ينهش صدري . وعند ذاك يأخذني فلورستانو في السيارة ، ويصبر على عذاب الاستماع الى حديثي ، فاقول له :

ـ وددت يا عزيزي فلورستانو لو لم يكن مكاني كريها ، لاقترح عليك ان تحل محلي فيه ، واؤكد لك انك عند ذاك ستحس بمثل احساسي الفضولي عندما ترى الحياة كما هي ، وكما ستبقى للاخرين على حقيقتها التي ستنتهي اليها قريبا ، بل ربما تنتهي وانت ما تزال تتكلم !.. وعندما تستطيع ان تفكر في ما سيفعله الاخرون ، بحق ، حين لا تصبح موجودا ! ..

ان كلامي هذا واضح ، غير ان فلورستانو يتظاهر بانه لا يدرك ما اعنيه . فاتابع كلامي :

ـ انا اعرف يا عزيزي فلورستانو ، مثلا ، اكليل الخزف الصيني الذي ستأتي لتضعه على الحفرة التي سأرقد فيها ...

وعندئذ يطلب الي فلورستانو ان اسكت ، فأسكت واقبع في مكاني هزيلا هزيلا ، شاحبا ، كسير القلب ، انظر من نافذة السيارة الى الطرق العالية على تل (الجانيكولو) ، والى جمال الشمس الغاربة . وماذا تهمني الحياة التي سيتذوقها الاخرون، على مرارتها ؟ وهذا الرجل البدين المتلىء بالدم ، والجالس هنا بجانبي يتنهد ، ان زوجتي التي تنتظر في البيت تتنهد هي ايضا ، وكذلك طفلي البريء الباقي هناك من دوني ، والذي لن يعرف في يوم قريب من كنت ، ولا كيف كنت ! ..

ـ بابا !

فيلتفت فلورستانو نحوه ويجيبه بخشونة :

ـ ماذا تريد ؟!

انه زوج امك يا ولدي كارلو ، وليس اباك الحقيقي . أتعرف ذلك؟!

ولكن الحياة مع ذلك جميلة يا ولدي كارلو ... ومملوءة ! ..

عمان — عيسى الناعوري

زنبقة .. غنت

رأيت في الروضة عند الصباح
اضفى عليها النور ابهى وشاح
كأنها راهبة في البطاح
قلت : وفي قلبي تنز الجراح
الى متى ابقى مهيض الجناح ؟

زنبقة فواحة زاهيه
مذ فتحت اجفانها الغافيه
تتلو صلاة الحمد للساقيه
ومهجتي من شوقها داميه

اقتات من جوعي ولا اشبع
واشرب الوهم ولا تنقع
لي غلة ... وحولي المنبع
يغص فيه الشوك والبلقع
ما لسنى الآمال لا يسطع

اما لظل اليأس يوما براح
ابدد العمر اسير الطماح

لعل ديجور الاسى يقشع
والناس في لذاتها ترتع

فاطرقت .. والنحلة الهائمه
تستاف من انفاسها الفاغمه
والشمس في آفاقها الغائمه
احالت الجنينة الباسمه
الطير في اعشاشها ناغمه

كنسمه ولهى عليها تحوم
سلافة ما انتجتها الكروم
قرص من النار يشق الغيوم
مثل سماء رصعت بالنجوم

والجدول الراقص اضواء
ووشوشت والروض اصداء
زنبقة ـ كالصبح ـ عذراء
يا شاعرا : ممته بلواء
حياتنا : ـ لو تدري ـ سراء

اتشتكي الخميلة الناسمه ؟
كم ليلة داجية قاتمه

ان جف من ينبوعه الماء
اعقبها فجر ولألاء

لا تكتئب وابسم فان الربيع
اما تراه في اخضرار الزروع
هيهات ان غاب وحل الصقيع
لكل فصل زال عنا رجوع
فغن للآمال حتى تشيع

بالرغم من بكائه يبسم
غانية بعرسها تحلم
يوما على غيابه يندم
لكل ورد بيننا موسم

اصداء مزمارك يا بلبلي
وغن للزهر وللشمال
للكرمة اللفاء ... للسنبل
للشمس اذ تسبح في الجدول
للبدر في وشاحه المخمل

كن بلبلا لا بومة في الربوع
ولا تقل عمري كضوء الشموع

نعيبها يجرح قلب الخلي
سرعان ما يخبو .. فلا عمر لي

بغداد

عبد القادر الناصري

الشاعر عبدالمحسن الكاظمي

بقلم ابو طالب زيان

***

بين العراق ومصر ، توزع هوى الشاعر العربي ، الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، وبين مصر والعراق ، نشأ الشاعر، بعدما تلقى دروسه الاولى على يد معلم فارسي ، واخر عربي ، واحترف التجارة ، ثم تركها الى الزراعة ، التي لم يلبث طويلا ان هجرها الى المطالعة الادبية ، والتوفر على الولوع بالمنظوم والمنثور من كلام العرب ، حتى ان محفوظه كان يضرب به المثل ، ومنثوره يتناقله الرواة في الاندية والمجتمعات ، وارتجاله كان محيرا لانداده ونظرائه ومستمعيه الذين شغفوا حبا بأماليح الشاعر العربي ، واتجاهاته في ضروب الشعر ، وعمله في تطويع القوافي ، وعجمه اعواد الاوزان .

على ان الواقفين على طبيعة الشعر من النقاد ومؤرخي الادب ، لا يستطيعون اغفال هذه السلاسة التي أتسم بها الكاظمي ، ولا صفاء قريحته ، ولا قدرته النادرة على صوغ الشعر ، وارتجاله في قوة ، وطول نفس ، وسلامة ذوق حتى يوفي على الغاية ، ويستوعب المعنى في غير ما تعثر يصيبه ، او كلال يعثر به مما تعد نادرة في اي عصر ، وواحدا في اي جيل ، مهما تضاربت المفاضلات ، او جنح القائلون بالسبق لواحد من المشافهين او المعاصرين الذين حرصوا على التقدم ، او تجاوزوا الحدود في المغالاة .

فالكاظمي قد صنع نفسه بطريق المحفوظ ، وكلف بالمنثور في امهات الكتب كلفا شديدا حتى تعدى الحدود المألوفة ، وتجاوز الطاقة المرجوة لمثل شاب متعثر في ميدانين ، كان الحري به ان يضعف او يستكين ، او ينصرف الى ميدان عملي قريب الى التجارة او الزراعة ، لا الى البحث والدرس والمشافهة والمعارضة والمناقلة التي افلح في ميدانها ، واصبح بعدفيهارائد عصرالانبعاث، وشاعر الطليعة، وداعي الوحدة بين الدعاة في قوة آسرة ، وصلابة مكينة ، اودت به الى المنفى ، واسلمته الى التشريد ، لا لسبب الا ايمانه بما كان يدعو اليه في احتداب ومنازلة وتحد ، وشدة معارضة .

والواقع ان نشأة الكاظمي في بغداد ، واشتداد عوده في الكاظمية ، وتلقيه مبادىء العلوم في هذا الجوالمنغوم ، قد كان سببا في اندفاعه الى التزود من العلوم ، واقباله على حرفة الادب ، يحدوه الامل ، ويرفع من شأوه ما كانت عليه بغداد وقتذاك من حركة موصولة في الاداب والفنون ، وما تعج به المنتديات فيها من سمر لذيذ ، ومطارحات حلوةفي كنف الرواد ، وارباب القلم، والمقدمين في هذه الصناعة التيلا تكلف صاحبها غير المطالعةوالاتصال بذوي الراي ، ومجاراة التيارات الادبية التي تنتهي الى هذا المجلس ، او تطرح للمناقشة في هذا المجتمع العلمي الحبيب .

على ان نزوع الكاظمي الى حرفة الادب ، قد كان نزوعا فطريا لا تكلف فيه . فنسبه من جهة امه ينتهي الى الامام موسى الكاظمي جد الشريف الرضي الشاعر المعروف . فما باله لا يحن بطبعه الى هذا النسب ، وينأى عن حرفة والده التي اعده لها وكونه من اجلها ليرثه في قطعالفيافي عارضا بضاعته ، او ياخذ مكانه في الاسواق ، ليكون الثراء الذي ينتظر ابنه ، او يكون البوار الذي لا تقوم له بعده قائمة . غير ان الشاعر ، كان يقدر الخسارة قبل المكسب ، والفشل قبل النجاح ، فبادر الى الفرار من حرفة الى حرفة حتى انتهى الى بُعد الصيت ، والاشارة اليه ، على انه من رجال البعث الحركي ، او التحللالزمني، وان كان هذا قد كلفه مكسبه وصحته ونور عينيه في اخريات ايامه الطويلة التي عاشها شوقا الى بعث امجادها، ونشر ما ضمته من اعاجيب ، وما تضمنته من احداث جسام صمد في وجهها الشاعر بايمانه القوي ، وعزمه الجبار .

والعجيب انه ما كان لهذا الشاعر الا ان يكون تحرري النزعة ، مطلق العنان في كل ميدان . فلقد كان يجمعالى ثقافته العلمية التي حصلها ، ودابه في امعان الى النظر في كتب الادب ، ذوق المدرسة العراقية الناقدة التي تحررت من القيود ، وآثرت الانطلاق في كل ميدان من ميادين الحياة .

غير ان هذا التحرر الذي ارتضته هذه المدرسة ، وهذا الانطلاق الذي سيطر على هذه العقلية ، ما كان له ان يستمر طويلا في هذه الارض الخامدة التي تقضيالثورات ببعثها ، وتئن البراكين بفورانها ، فكان على الكاظمي ان يختار له مذهبا في الشعر ، واتجاها في القصيد ، ومسلكا بين التيارات الادبية التي كان يموج بها العراق وقتذاك ، لا ينفك يلازم هذه العقلية المتطورة التي نزعت الىالسهولة، وركنت الى البساطة في المنظوم الذي اثر عنها ، والمنثور الذي تركه الكاظمي درسا نافعا ، ودستورا حيا توارثته الاجيال من بعده ، واحتذاه الادباء في حرص بالغ ، وشغف محبوب .

كان الكاظمي ولوعا بهذه السهولة التي اتسم بها ، وغلبت على شعره ، مؤمنا بان خير الشعر ما وصل الى العقول دون اعمال او تكلف ، او سرى الى النفوس ليعمل فيها ما يعمله السحر من تخدير ووقوف دون حركة او انطلاق الا ما كان في هذا الذي ياخذ المرء من كل جوانبه، ويحصر التفكير في هذه القضية التي يتعرض لها في غير

ما التواء أو تعثر ، لذلك كان الشاعر عالما بقضاياه قبل ان يصوغها في قالبها الموزون ، ويخلع عليها من الحواشي ما يجعلها مقبولة في العرض ، قمينة بالمفاخرة والمعاطاة والمداولة .

والواقع ان الكاظمي ، كان سهلا في شعره سهولة رقيقة لا تعقيد فيها ولا معاناة ، يؤمن في دخيلة نفسه ، ان الشعر اداة توصيل ، لا اداة فرض او تشريع ، فاذا ما كان يجمع بين الوسيلة والفرض ، كان اجدر بالتسمية واولى بالمعالجة ، واقمن بالابداع ، واحرى بان يكون خير رسول لخير رسالة .

على ان هذه السهولة التي انطبع بها الكاظمي في شعره ، واصبحت ديدنه في كل منظومه ، لم تكن متكلفة، او شاذة في طبعه او نابية في ذوقه ، يقف منها القارىء موقف المتربص في اي قصيد ، او المتلمس في اي منظوم، فقد كان الشاعر – لكثرة محفوظه ، ومعالجته الاساليب في شتى عصور الادب – يجري على النسق الذي تمخضت عنه ثقافة الكاظمي في بحوثه التي تناولها درسا ومطالعة وتنقيبا ومشافهة ، سواء في العراق او مصر التي عاش فيها اكثر من ثلاثين عاما دارسا وناظما وموجها ومرشدا ، وشاعرا يشار اليه ، وزعيما من زعماء الفكر ، ورائدا من رواد الطليعة المباركة التي ضربت في الارض يحدوها الامل ، ويتناوحها الاحتراب على السواء .

ومما لا جدل فيه ، ان المطالع لشعر الكاظمي والدارس لمنظومه ، يلمس هذه الشفافية المحلقة ، ويؤخذ بهذا القريض الذي لا ينفك يمضي في سلاسة عجيبة ، ونغم اشجى ، لاسيما قصائد الشكوى او العتاب التي اكثر منها الشاعر ، وحظيت منه بأكثر نصيب ، سواء في المنظوم او المنثور الذي دون بعضه ، واهمل الكثير منه ، اعتمادا من الشاعر على المشافهة التي يفيض بها في مجالسه ، واطمئنانا منه على الرواية التي كان يدين بها في مطلع حياته ، وعنفوان ثقافته في تنقله بين مجلس ومجلس ، او مجتمع او ناد من الاندية ، كان يقصده للاستماع ، ويحرص على مجرد الاشارة التي تند في المجلس ، او تشرد في المجتمع ، او تومىء الى بحث ، او تشير الى كتاب .

والعجيب ، ان الكاظمي الذي اكثر من العتاب ، واخلص للشكوى ، وعاش في الحيرة ، لانه اصيب في اخريات ايامه بما يقعده ، كان لا يجد من يوجه اليه شكواه ، الا ابنته الشاعرة رباب التي وسع صدرها هذه اللوعة ، وان كانت سهلة التناول في بيان الشاعر ، متداولة الالفاظ ، مطروقة المعاني، الا ان امتياز الكاظمي في التركيب، وتفرده في الصياغ ، واختصاصه باللفتات الذهنية النادرة ، كانت تضع الشاعر في طبقة منفردة اصيلة ، وينظر اليه على انه شاعر وحده في بابه وفنه ونسجه ، وان كانت هذه الابنة ، يداخلها الحزن المكتوم ، ويسري في جنباتها هذا الالم الذي أمض الشاعر ، وارق عليه حياته .

فالكاظمي يخاطب هذه الابنة الوفية ، وهي خلاصة ما ابقت الايام لهذا الاب بعد ما هجر العراق الى مصر ، وتداولته الايام بين نعيم وشقاء وخصب وجدب ، ورضا وسخط :

فداء رباب داء قلبي ومهجتي — وان شفاها لو علمت شفائي
رجوت بقاها في الانام وانما — بقاء رباب في الانام بقائي

والمطالع لهذه القصيدة ، وهي طويلة ، ضمن المجموعة الثانية من ديوان الكاظمي يرى الالفاظ سهلة ، والمعاني مطروقة ، لا يشذ فيها لفظ ، او يبهم من معانيها معنى ، الا انها تكاد تكون نهجا وحده في وضع الالفاظ ، وقوة الجرس ، وسبك هذه المعاني المتداولة التي تأخذ باللب ، وتنتزع الاعجاب .

ولقد يأخذ الانسان العجب ، وتهزه هذه العاطفة الابوية عندما يرى الشاعر يفدي ابنته بمهجته ، بل لقد يذهب الشاعر في الايثار ابلغ مذهب ، واكرم تضحية . اذ يقول في غير ما ضن او اثرة ، ان شفاءها هو شفاء الشاعر الذي تواكبت عليه الهموم ، ونالت منه الاسقام ، بل يتعدى الشاعر المألوف في حبه ، ويشذ عن المواضعات في العرف والتقليد ، فيرى ان في بقاء ابنته بقاءه ، وفي صحتها صحته ، وفي سقمها سقمه ، وفي عيشها عيشه .

على ان الكاظمي قد دفع هذا الحب لابنته ، فاخرجه عن سمته ، وجعل من رباب كل شيء في حياته . فمن اجلها ضحى ، ومن اجلها هاجر ، ولحبها يضن بها ان تقع بين براثن الاعداء ، ويعيذها من شر الامراض والفتكات وان كانت تضاف الى رصيده من المرض والتشريد :

اعيذ ربابا ان يساورها الضنى — وان تشتكي مما طويت به طيا
ولولا رباب ما تركت هوى الربا — ولا عفت سعدى الغانيات ولا ريا
ولا هجرت عيني كراها ولا لوت — ضلوعي برحاء الجوى والاسى ليا

ومما لا ريب فيه ، ان « رباب » قد حققت ظن ابيها بها ، فعملت منذ صغرها على ان تكون طلعة بين لداتها ، ورائدة من رواد الحركة الادبية ، وسيدة كما ارادها ابوها الشاعر ، شاعرة ثرة في سذاجة الحداثة ، وعذوبة الطفولة ، كما سارت بعد سيرة باعثة :

انا رباب الشاعره — الى الامام سائره
بالعلم ادرك المنى — والجد والمثابره
اجد ، لا اخشى العثار يوم غيري العاثره
اذود عن كرامتي — وعن بلادي الطاهره
من دونها لي اذن — تصغي وعين ساهره
بلغت غايات المنى — وما بلغت العاشره

غير ان من المألوف عن الشاعر الكاظمي ، انه قد تجاوز الحد في النظم ، وخرج على المألوف في القصيد . فهو ينظم في كل غرض ، ويطرق الموضوع دون ما عناء في حضرة جلسائه ، وهو مشارك لهم فيما يتحدثون ، ثم لا يلبث ان يتمه قبل ان ينفض السامر ، او يتفرق الجمع .

الراقصة

من كتاب جبران خليل جبران « التائه »
مترجمة عن الانكليزية

أقبلت ذات مرة ، على بلاط الامير « برقشة » ، راقصة مع عازفيها ، فقدمت الى البلاط ورقصت في حضرة الامير على موسيقى العود والناي والقيثار .

رقصت رقصة اللهيب ، ورقصة السيوف والرماح ، رقصت رقصة النجوم ورقصة الفضاء ، ثم رقصت رقصة الزهور والريح .

غب ذاك استوت امام عرش الامير واحنت له جسمها . فطلب اليها الامير ان تدنو قليلا ، وقال لها : « أيتها المرأة الجميلة ، بنت الرشاقة والغبطة ، من أين فنك هذا ؟ وانى لك السلطان على كافة العناصر في ايقاعك وسجعك ؟ »

فانحنت الراقصة ثانية للامير وأجابت : « صاحب الجلالة القدير الجواد : لا ادري الجواب على تساؤلاتك . لكني أعلم فقط : ان روح الفيلسوف تقيم في رأسه ، وروح الشاعر في قلبه ، وروح المغني تهجع في بلعومه ، أما روح الراقصة ، فتستقر في كل جسمها . »

بغداد — يعقوب فرام منصور

وقد يتناول موضوعا اثر موضوع في حبك وسرد جميلين في جلسة واحدة او عدة جلسات حسب الاندفاعات التي قد تنتاب الشاعر ، او الانفعالات التي تلم بهذه القريحة المتقدة ، او تطوف بها بين حين وحين مهتاجة ، او قاعدة متربصة للاحداث ، او متحفزة للتوجيه والارشاد .

وفي الحق ، ان هجرة الشاعر الى مصر ، واقامته بها ستا وثلاثين سنة ، قد طبعت شاعريته بهذا الطابع الروائي الذي طامنت من اندفاعاته تلك الموجات التي كانت تتراقص من حوله وأن كان قد يجاريها في هدوء ، ويعمل على الا تفلت منه هذه الرزانة وهو يمدح ، او يشكو ، او يعتب ، او يشعر بشعور العزة ، وهو يتناول غرضا من هذه الاغراض التي عمر بها شعره ، او حدثا من الاحداث التي عالجها في كثير من التعقل والاحاطة .

والواقع ان الكاظمي ، كان في تناوله لكثير من الاغراض ، يمشي الهوينى ويغلب عليه الاخذ والرد ، والحوار الذي ينبثق فجأة في ثنايا القصيد ، مما كان يعد الشاعر اثرا من آثار البيئة التي تأقلم بها ، وحرص على الاستزادة من وحيها ومجاراتها في شتى الوانها وضروبها واتجاهاتها ، والذوبان فيها ، حتى انه كان لا يعفي نفسه من الخوض في كل معركة ، او ارسال نغمه الشجي في كل مناسبة ، حتى عد بحق شاعر مصر ، بعد شاعر العراق .

والمتتبع لشعر هذا الشاعر ، يرى مشاركة حلوة في كل الاحداث التي عايشها الشاعر ، ومجاملة حبيبة الى القلوب في كل ضروب الحياة المصرية وان كان قد يفلت منه الزمام ، فيحن الحنين الاكبر الى موطنه ومرتع صباه ، فيتناوله دون وعي منه ، او تعمد لهذه التناول بما يعد للشاعر ، ويحسب له في الهوى والغرض ، والجنوح الى هذا البلد الطيب الذي فيه نشأ ، وعلى ارضه عاش .

ومعلقة الكاظمي في الزعيم المصري سعد زغلول ، تفيض بهذا المذهب ، وتعطي خير الامثلة على المشاكلة في شعر الشاعر الذي كان يخلص في كل مقطع من مقاطيعها الى هذا الحنين الى بلده ، او ذكر زعمائه ، او محنته في اغترابه وما جرته عليه غضباته الى الاقامة اخريات ايامه بعيدا عن هذا البلد ، محروما من ثمرات جهاده ، وان كان قد وجد في مصر ما اغناه عن هذا الحنين ، وما عوضه عن تلك الثمار التي كان يغرس لها الشاعر وهو في عنفوان الشباب ، حتى اذا اكتمل عودها اينع ثمرها ، حرم منه ومنع من حصاده .

ومما يثلج الصدر ، ان الكاظمي ، كان لا يفتأ يبارك هذا الغرس الذي تركه لغيره ينعم به ، فهو في مصر ينعم بغرس غيره ، ويعيش على جهاد بنيها الذين احلوه بينهم تجلة واكبارا .

والواقع ان الكاظمي ، قد اثر تأثيرا مباشرا في النهضة الادبية بكتبه التي اخرجها ، وشعره الذائع الذي نشره ، ومجالسه التي كان يرتادها كثير من الصفوة المختارة من شبابنا المثقف ، وشيوخنا العالمين الذين كانوا يعرفون فضل الكاظمي وثقافته وتوجيهاته السديدة التي كان يحرص على ارسالها ليخلق جيلا يؤمن بالوعي ، ويستاف للجهاد كما كان الشاعر ، وهو يفر من حرفة الى حرفة الى ان كان الادب خير حرفة لخير اديب ، تفخر به العروبة وتعتز به الضاد .

على ان هذا ليس بغريب على شاعر ، عرف فضل نفسه ، لكنه لم يلجأ الى الرعاة ، لاذاعة هذا الفضل في مختلف المناحي ، وان كان قد سطرته الايام في بلاد العروبة وسط التعسف والتقييد والتضييق ، ونظمته رباب ، فتناقلته الاجيال التي اكبرت الكاظمي على لسان هذه الابنة بعدما تقلدت محامده ، ومجدت آثاره ، وعرفت مكانه في التاريخ والحياة :

انا من اناس كلهم ... بدر ولكن عند تم
كرموا ولما يلبسوا ... لعداتهم جلباب لؤم
فاذا لجات اليهم ... تلجأ الى هضبات شم

القاهرة — ابو طالب زيان

منهل الدمع

*

ذهب الصباح بذلتي وشجوني … واتى المساء بعلتي وظنوني
وخرجت من ليلي وقد ملأ الاسى … قلبي وخضبت الدموع عيوني
ونبا بي العيش الضحوك وقدطفى … المي وطاح بلذتي وفتوني
فقبعت في حان الشقاء اعب من … خمر التعاسة ما اضل يقيني
وضللت دربي في الحياة ولم اجد … بين الكواكب كوكبا يهديني
ووقفت حول الدوح اشد نفحة … تنفي الاسى او نسمة تحييني
فرجعت عن املي تجرعني النوى … غصص الغريب وحسرة المغبون

* * *

افق البشاشة قد تقلص ظله … عني ونجم السعد غير مبين
اهفو الى الروض الاغن ولا ارى … بين الازاهر زهرة تسبيني
وامر بالوتر المرن اناملي … فيردهن بنغمة تشجيني
وارد اشباح الظلام اذا عدت … ليلا بقهقهة تشيع جنوني
فكأنما خبل الم وما ارى … بي والمنى من جنة تعروني
ذي حال من هجر الديار مودعا … فيها الوفاء لصاحب وخدين
هجر الحياة وقد تبددت المنى … ما بين تسهيد وطول حنين
هل ثم من امل يفجره الهوى … يطوي على ضوء الحنان جفوني

* * *

وطني اما لي من مياهك جرعة … بعد النوى او نهلة ترويني
او هل لنفسي في رحابك ملجأ … يوم المآب وحجرة تأويني
فاحل ارضا كان يجمعنا الهوى … فيها امرغ بالتراب جبيني
استعرض الماضي البعيد وما به … من ذكريات تستثير شجوني
واعوج بالوادي الظليل ابثه … شوقي واملأ من جناه يميني
آوي الى حرم الخيال اصوغ من … وحي البيان روائعا تصبيني
حتى اذا وافى الصباح نشرتها … والشمس فوق جداول وغصون
بين الخمائل والورود تحفها … والطير بين مراقص ولحون
والنهر دفاقا يقبل موجه … ثغر الرياض كعاشق مفتون
انشودة الاحلام يبعثها الصدى … فوق الربى سحرية التلحين
تحنو على صدر النسيم فينثني … متهدج الانغام بعد سكون
مهما ترامى البعد بي فمحجتي … ربع الشام وللشام حنيني

الارجنتين … **فائق جبور**

كانت جلستنا في تلك الليلة على رصيف مقهى يوناني ، والبحر ساكن في خليج الميناء القديم وانوار المراكب الشراعية تجذبنا باتجاه البعيد ، قال سادسنا ضيف الشلة :

ـ انا احب الاسكندرية ! !

عدت انا الى جريدتي اتسلق حروفها بعينين زائغتين ، ولم يكن من صورة تملأ دماغي سوى صورة الزواج ، اي زواج ومن مَن ؟ ذاك ما كان يشغل بالي . قلت لنفسي ، او في الحقيقة اعماقي قالت لي :

ـ احب الاولاد ، ولقد كرهت حياة الطالب العابثة ، وانا اريد ان اتزوج ، لا بد انني اميل الى الفضيلة.

وهزني رياض (الرفيق الحموي) بيده . فانتبهت الى امراة تمر امامنا ونحن مسمرون على الكراسي كتماثيل دبت الحياة في عيونها تتابع الموكب البهيج .

ـ امراة ! ! ولكني كرهت العبث.

قال ضيفنا (المغربي) : المراة المصرية ولود .

وهمس رئيف : هذا ما يفسر الستة والعشرين مليونا من الناس ، واشار باصبعه نحو المراة التي كادت تختفي في الزحام .

اختفت ، ظهرت واحدة اخرى ، ولم ينقذنا من النساء سوى الدخول في النقاش الآبد الذي لا يفارق سهراتنا ، نقاش حول كل شيء .

قلت في لحظة سكون وانا العق بقايا البن في فنجان القهوة : ـ انا رجل فضيلة سأعود بعد سنة الى حلب لاتزوج .

ـ ها ! ها ، ونظرت الى اللبناني السمين ارد على سخريته ، ولكن بادرني بقوله وهو يكاد يضع اصبعه في عيني : انت ، انت تتزوج ، وماذا ستفعل بمجموعتك ؟

ـ اية مجموعة ايها الاهبل. عبث! عبث !

وحسم حسن خلافنا بأن طالبنا (بقرش) من كل منا نعطيه للفتى الصغير الذي كان يرقبنا منذ مدة في صمت وهدوء .

التوت رقبتي وانا انظر الى الخلف حيث استوى صبي واقفا ، يبدو في الثانية عشرة من عمره ، اشقر الشعر ملتهب العينين ، وبنطلونه القصير يكشف عن ركبتين يصعب عليه ان ينظفهما .

ـ ماذا تريد ؟ قال رئيف، واجاب الصبي :

ـ لا شيء .

وكنت اتأمل في صمت طفولة ذلك المتطفل ، قلت بعد لحظة :

ـ ما اسمك ؟ قال في سخرية ارتسمت على وجهه ابتسامة :

ـ اسمي عفريت .

ـ عفريت ؟ هتف بعضنا مستغربا،

الفارس والصبي

بقلم وليد اخلاصي

فاستطرد الصبي وقد اقترب من مائدتنا :

ـ تسميني امي عفريتة، ويعرفني اهل الحارة بالشاطر ، اما انا فأحمد، وقد يقول بعض الناس (وَلَه) ! على كل حال انا مخدومك ، وتوجه بالحديث الي مباشرة ، سألته :

ـ وماذا تفعل بهذه المجلات القديمة التي تحملها ؟

ـ ابيعها ، وسأله المغربي ضيفنا :

ـ ومن اين تأتي بهذه المجلات ؟

لم يجبه الصبي بشيء بل توجه الي مرة اخرى بالحديث وقال :

ـ انت شامي يا سيدي ؟! هه !؟

ـ وكيف عرفت ؟! وضحك في عمق حتى جسده النحيل كان يضحك وكأني به يقول : لهجتك ، لهجتك ايها الغريب .



وهبط الاهتمام به فجأة على نفسي ، كان صبيا رقيق الملامح ، تخيلته بملابس نظيفة يبدو كأحد اولاد العائلات الثرية ، حتى الارستقراطية كانت تبدو في مسكه المجلات القديمة بيده .

كانت الساعة متأخرة وقلت في نفسي : كان على الصبي ان يكون نائما بعد ان تناول عشاءه .

وسألته : هل تكسب من عملك ؟ قال لي في تلك اللحظة :

ـ اية خدمة يا سيدي ؟

وحين اخرجت من جيبي الربع جنيه كنت افكر ان انمي علاقتي به، وقلت له :

ـ هل تشتري لي (صندويش) فلافل ؟

قال في صدق : ـ بكل سرور ، واخذ المبلغ من يدي وطار به .

قال حسن : لقد لطش الربع جنيه ايها الطيب القلب .

ـ اراهنك على انه سيعود !؟

ضحك اللبناني وقال وهو يضع رجله السمينة على الاخرى : ـ مثل حكاية (المومس) التي نويت ان تعلمها القراءة والكتابة حين سرقت قمصانك .

وتذكرت تلك الحادثة وصمت ، لم ادافع عن نفسي ما كان الامل يراودني في اني ساراها يوما لتبرر لي فعلتها، لم تكن سارقة !!

وهتف رئيف ضاحكا : ـ اراهن على انك تنوي مساعدته ايضا .

قلت في نفسي : نعم اود ان اساعده.

ومضت نصف ساعة لم يعد فيها الصبي ، كنت خلالها هدفا لنكات الاصحاب وتعليقاتهم المرة ، وجعل رياض يفلسف امري :

ـ ستؤدي بك الثقة بالناس ذات مرة الى مصيبة .

ـ اراهنك على انه سيعود ، وكنت اتمنى من الله ان يعود الصبي.

وباتت الساحة الممتدة امامنا خالية الا من بعض المارة ، قلت في

ذلك الحين : ما زلت اذكر حكاية قديمة لفارس من الصحراء كان بطلا في قومه حين مر على بدوي مريض في البادية وحيدا ينتظر الموت كيف وقف عنده يود مساعدته .

واكمل المغربي الحكاية عني فسكت : – ونزل اليه الفارس ليحمله الى الفرس فقال لـه المريض لقد نسيت حوائجي على الرمال ، فترجل الفارس فما كان من البدوي الا ان انطلق بالحصان بعيدا ، فتعجب الفارس وهتف وهو يناديه : ايها البدوي لا تبتعد ستعرف اهل البادية دابتي ، ولكن اذا سألوك فلا تقل انك سرقتها بل قل اني وهبتها لك ، حتى لا يساء الى المرؤة في الصحراء!

ثم اكمل صاحبي : نعرف تلك الحكاية ، اما الاخلاق يا صاحبي فلم يعد لها مكان في هذا العصر .

وضحكت في نشوة اذ لمحت الصبي يتجه نحونا مهرولا وقد حمل صرة في يده ، وما ان اقترب منا حتى نظرت الى اصحابي ونظروا الي .

وكان لكل لفتة منا معنى .

قال الصبي : اعرف بائعا بعيدا عن هنا يجيد عمل الفلافل .

.. وجعلنا نأكل وقد وضعت الصبي على كرسي بالقرب مني .

كان الاصحاب في صمت مطبق .

سألت الصبي : هل لك اهل ؟!

ووجمت ومعي الاخرون اذ قال مجيبا : لا اعرف والدي ، وامي تعمل غسالة ، واشياء اخرى كثيرة .

واستبدت بي رغبة جامحة وانا اقول للصبي الذكي العينين :

– هل تعرف القراءة ؟

– ولا الكتابة ، (ثم اكمل قائلا) لم اعرف في حياتي سوى الشارع .

قال رياض وهو يحك ارنبة انفه كعادته : – كلامه اكبر من عمره .

واندفعت في رغبتي وانا اقول له: ما رايك في ان اعلمك القراءة والكتابة؟ نظر الي الصبي في تأمل وقد توقف عن مضغ ما في فمه .

– مقابل اي شيء ؟

وحيرني ولكني انقذت نفسي وانا اقول له : تأتي الي في البيت وتقوم بخدمتي وانا اطعمك واعلمك . ما رايك ؟!

ونظر الاصحاب بعضهم الى بعض وضحك حسن وهو يهمس في اذن رياض :

– الحكاية نفسها !!

قال الصبي بعد تريث : تبدو رجلا طيبا ، اني اوافق .

وكأنه كافأني حين قبل ، نظرت في انتصار للمرة الثانية الى الرفاق حيث جلسوا. كان الليل قد انتصف والرطوبة البحرية قد زادت ، وكنت قد اتفقت مع الصبي ان نلتقي غدا في النصف بعد العاشرة على رصيف المقهى ، لكي نذهب الى البيت . كنت سعيدا ، فخورا ، لم افعل شيئا مهما في حياتي ، وانني الان استطيع عمل شيء جيد .

قلت للصبي قبل ان نفترق : واين تنام ؟ اجاب وهو يحمل مجلاته مستعدا للرحيل : احيانا في غرفتنا، وعلى كل حال هناك اماكن كثيرة ، الا ترى (الكورنيش) يا اخي كم هو متسع ؟!

نظر الي رئيف في شفقة وهو يقول : لا يلدغ المرء من جحر مرتين . ولم اعلق على حديث اي منهم بكلمة، كنت سعيدا ، ثم افترقنا .

كنت احلم في تلك الليلة به ، بالصبي ، نظيفا ، ينطق الحروف المكتوبة على ورقة بلفظ صحيح ، يرتب لي المنزل ، يشعرني بالابوة ، يناديني باسمي ، واقول له : احمد .

وفي الصباح تذكرت موعدي مع صديقة ايطالية جميلة ، وكان الموعد في العاشرة والنصف كانت معرفتي بها حديثة ، وكنت اتوق للقائها منذ ايام ، ولكنني لم اساوم نفسي .

قررت ان اقابل الصبي لاصحبه الى البيت ، لاتبناه لاحبه كابن لي ولتذهب الايطالية الى الشيطان ، وقضيت الوقت الباقي ارتب له مكان نومه وافكر باختيار ملابسه .

اي عاطفة تلك التي تسربت الى اعماقي فاضاءتها ؟

وكنت عند المقهى في الوقت المحدد ، اشعلت سيجارة وجعلت انتظر .

– ترى لو تزوجت هل تقبل به زوجتي ، نعم ستحبه ، وستعجب لذكائه وحسن تصرفه . سأكون قد اكسبته معارف كثيرة .

واشتط بي الخيال حتى اذا نظرت الى الساعة كانت الحادية عشرة . لكم تألمت اذ تأخر العفريت !

اسم لطيف ، العفريت !!

ولكنه لم يأت ، وكان الخوف ينهش صدري .

ترى هل حدث له حادث ؟ لا اصدق .

ولم تجد الساعة نفعا اذ انتظرته فيها ، حملت نفسي في خيبة وانا اكاد العنه . بل لعنته الف مرة . الكاذب المستهتر ...

ومرت ايام حتى خفت سخرية الرفاق مني ، ونسيته ، لم اكن لاتذكره الا حين ارى مكان فراشه ، فاقول لنفسي : – حتى اني كنت سأقاسمه مصروفي .

وحدث ان كنت مرة اطعم الفول واقفا عند دكان صغيرة ، فلمحت الصبي يمر بقربي حاملا اوراق اليانصيب ، وثارت في نفسي رغبات كثيرة ، احداها ان امسك به واضربه حتى يغمى عليه ، فتركت الرغيف من يدي وهرعت اليه حتى امسكته من خلف ، فالتفت مفاجئا ليراني فيصعق، ولبثنا صامتين كقطين يتراشقان النظرات القاتلة

كانت كفي تطبق على ذراعه في قسوة وهو لا يبدي حراكا . حتى اذا هدأت انفاسي قلت في تهدج : لم لم تأت حسب موعدنا ؟

– اي موعد ؟ قال في هدوء وعيناه تنطقان بالاستهزاء .

– ايها الكافر بالنعمة .

قال الصبي وقد افلت مني واستوى امامي يجابهني في قوة :

مقاطع الضياع

بلا صورة

مسخت
غرقت في سحابة تذوب الحياة
تميع الفواصلا
تجدل من ضفائر الضياء مغزلا
تحط في نهاية ، لا تنتهي
حيث أنا والاخرون
صيرهم كد الدهور هنيمات
ملامحا للبسمات الضائعات

غربة

دروبنا منكودة مكـدره
ونحن من نكون غير صيحة في واد
غير اجترار بعضنا في كرة المعاد
ليلاتنا تمر بالحسره
تمر لا معنى ولا فكرة

ثورة مستكينة

لانني هنا
أنا هنا ،
مكور على الفراش جائع ،
لان اغيم في السماء
او اذوب في الفصول الاربعه
ابدع من وجودي المقرور اغنيات
اصطاد من بحار الصمت ،
من بحار آلآه .. اغلى السمكات
أود لو اصير زوبعه
اقتلع الارض ، انظف المكان
اسعف الرمال فوق شاطيء الحياة يا زمان
امحق جلد عالمي ، امحق جلد القوقعه
فتاكل النيران من اهابها ، وتاكل الديدان

عذاب

من كوة ارهقها الضباب والقتام
من كوة نسيجها الظلام
صديقها حبيبها النسيم
أطللت يا معذبي على الحياة
على الثعالب البيضاء والكروم
فالارض درب مقفر ودار
يسعل في انحائها النهار
وطفلها الرضيع
ما اغمضت عيناه بعد
عويله مخلع القرار

الليل

الليل معقود على جناحي الكئيب
الليل حولي قاتل رهيب
الليل معولي الرهيب قاتلي
الليل اعوام مريضة ،
وغابة مضحكة المصير مبكيه
الليل غربان تمور في السماء جائحه
الليل حانة وخمرة في الكاس ،
رقصة عربيدة ، الليل افعى رابحه

الحقيقة والضياع

حقيقتي
اخشاك يا حقيقتي
اخشاك يا حقيقتي
لانني مشرد
لانني مشرد وتافه ، لا أملك الحياة
لا أعرف الدنيا
أعيش « ميداس » بلا معنى

رام الله — موسى صرداوي

ـ اية نعمة يا سيدي ، اقرأ واكتب واصبح ولدا طيبا ؟!

وصفعني بكلماته فتألمت حتى بان الاسى واضحا على وجهي .

وتحركت عيناه في سرعة كمغزلين، قال وقد تغيرت لهجته :

ـ انت يا سيدي رجل طيب ، وانا صبي تعلم الحرام، اسرق محفظة من رجل ، انشل ثوبا من نافذة ... ولم ارد ان اسيء اليك ، لقد كنت طيبا معي .

كان يتكلم كما قال صاحبي حديثا اكبر منه .

ـ ولكن ؟ ؟ !

لم استطع ان اكمل ، فقد افلت من ناظري العطوفين وانسرق بين الزحام كطير صغير خفيف الاجنحة .

حلب — وليد اخلاصي

الشعر بين الجمود والانطلاق

بقلم مير بصري

***

عرف الاقدمون « الشعر » بانه الكلام الموزون المقفى . وقال محمد بن سلام الجمحي وهو صاحب « طبقات الشعراء » ومن اقدم النقاد الادبيين وقد توفي سنة ٨٤٦ م : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات ... » وروى انه قال قائل لخلف بن حيان : « اذا سمعت انا بالشعر واستحسنته فما ابالي ما قلت فيه انت واصحابك . » فقال له : « اذا اخذت انت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسانك له ؟ »

وتكلم الاديب الانكليزي تيودورواتس دانتن على تعريف « الشعر » في دائرة المعارف البريطانية فقال : « لئن كانت التعاريف كثيرا ما تكون مضللة وغير مرضية على السواء، ان تعاريف الشعر ليضرب بها المثل في تضليلها وعدم كفايتها . ومع ذلك فلا بد من محاولة وضع تعريف في هذا المقام فنقول : « ان الشعر الخالص هو التعبير المادي والفني للفكر الانساني بلغة عاطفية ذات ايقاع . »

وفي خلال الالف سنة التي مرت بين ابن سلام وواتس دانتن وقبلهما وبعدهما ايضا حاول الاف النقاد والادباء من مختلف الاقوام وفي شتى الاقطار وضع تعريف للشعر ، بينما اكتفى الشعراء بنظم اشعارهم فلم يشك احد في انها شعر ، من هوميروس وبندار وفرجيل الى لا مارتين وبيرون وفكتور هوغو ومن امرىء القيس وابن الرومي والمتنبي الى شوقي وحافظ والزهاوي والرصافي وايليا ابو ماضي وجبران ...

ان التعاريف السهلة اكثر ما تكون خداعا ، والكلام الموزون المقفى ليس في الحقيقة تعريف الشعر بل هو تعريف النظم ، ولذلك نشأ الاف النظامين الذين استعانوا بالوزن والقافية ليلفقوا كلاما ابعد ما يكون عن الشعر .

وقد سأل بعضهم شاعرا من نوابغ الشباب : « كيف يهيأ للمرء ان يجود نظم الشعر ؟ » فقال : « يتعلم العروض ويحفظ الاف الابيات من عيون الشعر ويمارس الصناعة عشرات السنين فينظم بيتا ويسقط الفا » ، قال : « ولكنك لم تفعل كل ذلك ؟ » فاجاب الشاعر العبقري : « اجل، ولكنني لم اسأل كيف اقول شعرا ؟ »

ولشاعر العراق جميل صدقي الزهاوي محاضرة عجيبة في الشعر نشرها رفائيل بطي في مقدمة كتابه « سحر الشعر » المطبوع سنة ١٩٢٢ ، وقد جال فيها الزهاوي وصال ، فمما قاله :

« الشعر شعور الشاعر قد خرج من مخدعه ، وهو قلبه ، متحدا اتحادا اثيريا بشعور اخر هو النغمة التي نسميها وزنا ، وقد ركبا اجنحة الالفاظ الخفيفة ليطيرا معا مرفرفين رفرفة الفراش الجميل على زهر الرياض ، فيصلا الى الاسماع بعد ان يحدثا في طريقهما امواجا خفيفة في الهواء ، ومنها الى مخادع اخرهن قلوب اصحاب تلك الاسماع ويثيرا ما هنالك من الاحساسات الراقدة . »

وقد عبر عن نفس هذه الحقيقة احد الشعراء الرمزيين الفرنسيين فقال ما مضمونه : « ان الشعر لا يكون شعرا الا بالاتصال بين روحين منسجمين » . روح الشاعر وقارئه ، فالقصيدة تبقى خامدة ميتة حتى تمس من قلب القارىء او السامع وترا حساسا .

وقال الزهاوي ، وصدق في ما قال :

لقد قرض الشعر الكثيرون في الورى ... واكثره ما فيه روح ولا فكر
ان الشعر لم يهززك عند سماعه ... فليس خليقا ان يقال له شعر

اما معروف الرصافي فعرف الشعر بانه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الالفاظ انعكاسا يؤثر في النفوس انقباضا او انبساطا . وكان الرصافي واسع الافق في نظرته الى الشعر فلم يخصه بالنظم ، بل قال : « ثم ان هذا التعريف يتناول المنظوم والمنثور من الشعر . وهو كذلك ، فان الشعر قد يكون في المنثور كما يكون في المنظوم ، ولكن الغالب في المنظوم ان يكون واسطة لبيان المعاني الشعرية ، اي لبيان سانحات الحسن والخيال بخلاف المنثور فان الغالب فيه ان يكون واسطة لبيان ما هو من ثمار العقل ونتائجه ، ولذلك اكثرت العرب اطلاق اسم الشعر على المنظوم حتى قال المتقدمون من اهل الادب في تعريف الشعر « انه كلام ذو وزن وقافية » ، وهو تعريف للاعم الاغلب من الشعر ... والا فهم يعلمون ان الشعر لا يختص بالمنظوم وانه قد يكون منثورا . »

ونقل انيس الخوري المقدسي عن توماس كارليل انه عرف الشعر الحقيقي بالموسيقى الازلية التي يسمعها الشاعر من وراء الوجود . وقوله الشعر الحقيقي تمييز عن المنظومات الكثيرة التي ليس لها من روح الشعر سوى الوزن والقافية . تلك المنظومات التي زخرت بها الاداب الاوروبية والعالمية كما زخر بها الادب العربي في حقبة طويلة من تاريخه .

قال كارليل : « ان الافكار السامية نظما كانت ام نثرا مستمدة من مصدر واحد ، فكيف نقيد الشعر بالوزن والقافية ؟ نعم ، لا بد من الموسيقى في الشعر لان الشعر في الاصل نوع من الغناء ، ولكن الموسيقى الشعرية ليست موسيقى الالفاظ بل هي خاصة من خواص المادة الاصلية بها تتجلى حركات الجواهر وبها تظهر عواطف الطبيعة ، وكل ما هو عميق في العالمين المادي والروحي راجع اليها. الا ترى النفس في هيجانها تعمد الى الوزن على غير قصد منها ؟ واي كلام خال من نوع من الوزن الطبيعي ، اية

لغة لا تنفرد بنوع من الغناء ؟ الوزن سر الوجود ، والجماد يشارك الاحياء في هذا النظام . فليس الشعر الكلام المقفى الموزون بل هو الافكار الموزونة ، والشاعر الحقيقي من وصل الى هذا العمق ، الى ناموس الوجود ، الى الموسيقى الازلية فأبرزها للعالمين . »

وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي :

سمعت اناشيد علوية اعاد صداها الفضاء الرحيب ،
فلحن له نبرة عذبة ورجع شجي انيس عجيب .
تهادى كموج الاثير اذا حداه النسيم البليل رخاء ،
وشع كنوزها في العلى ، فطاف سناء وفاض رواء ،
ووشى الرحاب بلون بدا مزيجا لالوان طيف ذكاء ،
وفاح اريجا كزهر الربى اذاع شجاه الصباح الرطيب .
فاعجب للحن تآليف فيه ضياء وجرس ونشر غريب ،
هدوء لطيف سرى في الحشا خشوعا وسر اجن الخفاء .
وطار الفؤاد شعاعا الى مغاني البهاء وراء التخوم .
هناك يوقع لحن الخلود جموع الشموس وزهر النجوم ،
فيجري الزمان على وقعه ، وليس ابتداء وليس انتهاء .
انا قد ثملت بذاك الرنين زمانا تقضى كيوم قصير ،
فهيهات اصغي الى نغمة من الارض تاتي كروح اسير ،
وهيهات يحلو لنفسي صدى ولو رجعته الي السماء !

ان للامة العربية تراثا ضخما من الشعر قلما يدانيه تراث اية امة اخرى على وجه البسيطة ، وقد اتصلت اسبابه منذ اكثر من اربعة عشر قرنا وتجددت انغامه وتعددت على مر العصور . ولعل الاوزان العربية والقافية المتكررة في الشعر العمودي من اصعب قواعد النظم في اللغات العالمية ، وفي وسعي ان اشبه بحور الخليل بالقالب الذي يصب فيه الشعر صبا ، بينما لا تخرج الاوزان الافرنجية عن مقياس يقاس به الشعر . وهذا التشبيه يعطي القارىء فكرة عن الصعوبة التي يتجشمها الشاعر العربي لنظم افكاره ومشاعره ، ويفسر سبب خلو الشعر العربي القديم من الملاحم والمسرحيات والقصص المنظومة الطويلة كالالياذة والاوذيسة اليونانيتين والانياد اللاتينية واضرابها . وترى الشعراء الاقدمين يستعينون بالرجز في قصائدهم الطويلة ، ولا سيما الاراجيز التعليمية (ديداكتيك) والقصصية كالفية ابن مالك ونظم كليلة ودمنة لسهولة هذا الوزن ويسر قافيته المزدوجة . وقد حاول الشعراء المتأخرون استخدام الشعر العمودي لنظم الملاحم ، كما فعل سليمان البستاني في ترجمة « الياذة » هوميروس وجميل صدقي الزهاوي في « ثورة في الجحيم » ، فجاءت اشعارهم مملة في رتوبها وصرامة موسيقاها . وتفنن اخرون فمزجوا البحور والقوافي ، كما فعل شوقي في مسرحياته ، فأتوا بالطريف المعجز في الشعر العربي . وذهب الشعراء المتأخرون الى ابعد من ذلك فتصرفوا في الاوزان العربية مدا وقصرا وتفننوا في القوافي ترصيعا وتنويعا فكان لنا « مجدلية » سعيد عقل وامثالها من روائع الشعر الحديث .

ولا ريب ان الموشحات الاندلسية كانت ابتكارا لطيفا للتخفيف من صرامة الشعر العمودي وقوافيه الجامدة الراتبة ، فاضفت على الشعر العربي لونا جديدا يمتاز بالخفة والسلامة . وابتدع الشاعر اللبناني المعاصر المرحوم الدكتور نقولا فياض فنا جديدا في التوشيح، فمزج البحور المتقاربة في المقطوعة الواحدة واختزل المصاريع بين الحين والحين وعمد الى تنويع القافية او اغفالها ، وامثلة ذلك منشورة في ديوانه « رفيف الاقحوان » المطبوع سنة ١٩٥٠ .

والبحث في الشعر العربي الحديث من حيث الشكل والمبنى لا يكون كاملا اذا لم نتطرق الى ذكر ما سمي بالشعر المرسل او المنثور ، وهو لون من الشعر ابدع فيه طائفة من شعراء المهجر بوجه خاص وفي مقدمتهم امين الريحاني وجبران . وقد ذكر الريحاني انه تأثر بطريقة والت ويتمان الشاعر الاميركي الشهير (١٨١٩–١٨٩٢) ونسج على منواله ، لكن الحقيقة ان الشعر المنثور اقدم من الشعر المنظوم في مختلف اللغات ، وامثاله كثيرة في الاداب السومرية والبابلية والمصرية القديمة وغيرها . ولئن كان الشعر المنثور خاليا في معظم الاحوال من الوزن والقافية ، ان موسيقاه تقوم على التوازن بين الجمل المتناظرة المترادفة ، فيثير الترديد في ذهن القارىء او السامع شعور التأثر والانفعال ويهدهد نفسه على ايقاع العبارات المنسجمة المتدفقة بالعاطفة المشبوبة . ولذلك كان الابداع في الشعر المنثور اعسر منالا واصعب منه في الشعر المنظوم ، والسبب يرجع الى ان الوزن والروي يعينان على خلق الجو الشعري والتمهيد له في نفس القارىء ، في حين ان الشعر المنثور لا يستعين بغير موسيقى التناظر والانسجام ، فلا بد ان يكون شعرا خالصا مجردا من الشوائب لينفذ الى قلب القارىء ويمس منه وترا حساسا .

ولنأخذ مثالا من الشعر المنثور لنرى مدى انطباق كلامنا المتقدم عليه . هاكم قطعة لجبران خليل جبران بعنوان « أيتها الارض » حيث يقول :

ما اكرمك ايتها الارض وما اطول اناتك ،
ما اشد حنانك على ابنائك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم ،
الضائعين بين ما بلغوا اليه وما قصروا عنه .
نحن نضج وانت تضحكين ،
نحن نذنب وانت تكفرين ،
نحن نجدف وانت تباركين ...
نحن نهجع ولا نحلم ، وانت تحلمين في سهرك السرمدي .
نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح، وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم.
نحن نزرع راحاتك بالعظام والجماجم، وانت تستنبتينها حورا وصفصافا.
نحن نصبغ وجهك بالدم ، وانت تغسلين وجهونا بالكوثر .
نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف ،
وانت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق .
ما اوسع صبرك ، أيتها الارض ، وما اكثر انعطافك !
ما انت أيتها الارض من انت ؟
أذرة من الغبار تصاعدت من بين قدمي الله عندما سار من مشارق الاكوان

دعني

دعني وحقك لا تثر اشجاني ... فلقد نزعت الحب من وجداني
ولكم سهرت الليل ارعى نجمه ... اشكو له مما ارى واعاني
وعواطفي نضبت وكم اسقيتها ... بالدمع من نبع الشعور الحاني
وعبارتي النشوى بخمر عواطفي ... بردت وكانت شعلة التحنان
حتى ابتساماتي خبت اضواؤها ... وتبدلت بالدمع في اجفاني
لم اخف عنك حقيقتي وشرحتها ... وابنت ما قد سرني وشجاني
افبعد ما بينت تقبل آملا ... ان يستجيب القلب للخفقان
او ان تعيش بغير قلب خافق ... ومنى غدت في خاطر النسيان
اترى فؤادك اذ يعيش على المنى ... سيعيد قلبي نابضا بحناني
اتظن لحن الحب يرجع مشجيا ... قيثارتي وتر بلا الحان ! !
لا لا تعش بالوهم قد جربته ... اخشى عليك من السراب الفاني
انا رغم ما تبديه من سحر الهوى ... سأعيش في دنيا من الحرمان

مصر الجديدة — **روحية القليني**

الى مغاربها ، أم شرارة قذفت من موقد اللانهاية ؟
انواة طرحت في حقل الاثير لتشق قشرتها بفرم لبابها
وتتعالى نصبة ربانية الى ما فوق الاثير ؟
اقطرة من الدم في عروق جبار الجبابرة ،
أم انت قطرة من العرق على جبينه ؟ ...
اطفلة انت في حضن الفضاء أم عجوز ترقب الايام والليالي ،
وقد شبعت من حكمة الليالي والايام ؟ الخ .. الخ ..

ان المقام لا يتسع للتبسط في ايراد النماذج والشواهد.

ويجدر القول ان تذوق الشعر كتذوق الموسيقى يقوم على التربية والتعود ، فالكثيرون منا لا يستسيغون الموسيقى الغربية لانهم لم يتعودوا سماعها وفهم انغامها ، كما ان الاوربيين يملون الاصغاء الى الموسيقى الشرقية لانها غريبة عن اذواقهم ومشاعرهم . ولا ريب ان الذوق الشعري في جيلنا الحاضر يختلف عما كان عليه في الجيل الماضي ، ومع ذلك لا يزال بيننا الكثيرون ممن يقررون جازمين ان صفحة الشعر قد ختمت بالمتنبي او بشوقي. بل انني وجدت فريقا من اعلام اللغة والادب لا يفهمون الشعر مطلقا فيتيهون في مهامه وبحوره ويكادون لا يميزون بين منظومه ومشعوره . وليس ذلك بجديد ، فقد حدثنا ابن سلام في طبقات شعرائه عن بعض اولئك فقال : « وكان ممن هجن الشعر وافسده وعمل كل غثاء محمد بن اسحاق ... وكان من علماء الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الاشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر، انما أوتى به فأحمله، ولم يكن ذلك عذرا ...» ومما يذكر في هذا الباب ان الشاعر النقاد الفرنسي الشهير بوالو قد رمى الشعراء في « فنه الشعري » بسهام نقده الصائب ووضع قواعد الشعر والادب ، ثم اخل في منظومه بالقواعد التي رسمها وسقط في ما انكره على غيره من الشعراء .

ومن نافلة القول ان التجديد في الشعر لم يقتصر على الشكل والمبنى بل تجاوزهما الى الاغراض والمعاني . وذلك طبيعي ، فعصرنا الحاضر قد حفل بالعلوم والوسائل المادية مما لم يعهده الاقدمون ولم يحلموا به ، فكيف يقف الشعر بمعزل عن حياة العصر وما يحيط بها من افكار واسباب ويجمد على الاراء والمعاني القديمة ؟ ان المدنية الحديثة لتتحدى الشعراء كما تتحدى الادباء والكتاب ، فينبغي لهم ان يلبوا نداءها ويبرزوا الى ميدان الصراع . اما اذا اكتفوا بالتعلق بأهداب الماضي والتشبث بأذياله ولم يتطلعوا الى آفاق المستقبل الرحيبة فان مصير الشعر ليؤول الى الجمود والتحجر والاندثار . ولا يعني التطلع الى المستقبل اهمال اللغة والتهاون في قواعدها والعبث باساليب الاداء الشعري ، وانما يعني ذلك التحرر من القيود الوضعية التي تكبل الشاعر وتحول دون تحليقه في سماء القرن العشرين . وان مستقبل الشعر ليتوقف على مسايرته للحضارة الالية والفكرية الحديثة ، كما يتوقف على تربية اذواق الجيل الناشىء على اساليب الشعر ومفاهيمه الجديدة .

بغداد — **مير بصري**


علي محمود طه

الملاح التائه ... علي محمود طه

بقلم محمود بن الشريف

عضو مراقبة الكتاب بوزارة التعليم العالي

***

هو ملاح وادي النيل.. جاب افاق اوربا ، وطوف ببلدانها، وتغنى بمناظرها ، وشدا بجمالها في شعر واضح المعنى ، قوي الاسلوب ، موسيقي اللفظ ، متسق النغم ، جيد السبك والوصف ... دار شعره على كل لسان مع ان ثقافته المعهدية كانت بعيدة كل البعد عن الادب والشعر . فقد اعد علي محمود طه نفسه ، وهو ملاح وادينا ، ليكون مهندسا ، وتخرج فعلا من مدرسة الفنون التطبيقية مهندسا ، الا ان ملكة الشعر ظهرت لديه مبكرة حتى طغت على كل مواهبه الاخرى .. ودفعته تلك الملكة الى ان يطلع على اداب الاقدمين ويحفظ من شعرهم ويعيش في نثرهم حتى دانت له القوافي واحنت هاماتها له شموس الالفاظ .

وتتضح شخصيته الفنية من بين ثنايا ابياته .. وهي واضحة بعيدة عن المسخ والاهتزاز .. كان من الشعراء الابداعيين الذين تخرجوا من مدرسة « خليل مطران » الابداعية التي تقوم على ارسال الخلجات النفسية مترعة بالوجدان من غير تقييدها بأحكام الفكر وقوانين العقل فآمن شاعرنا باغراضها واتجه اتجاهها الذي كان ثورة على الاغراض العربية القديمة ، بل كان اعظم ثورة في تاريخ الادب العربي . ويتلخص مذهبها كما قال عميدها خليل مطران في « ان اللغة غير التصور والراي ، وان خطة العرب في الشعر لا يجب حتما ان تكون خطتنا ، بل للعرب عصرهم ولنا عصرنا، ولهم ادابهم واخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم ، ولنا ادابنا واخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا ، ولهذا وجب ان يكون شعرنا ممثلا لتصورنا وشعورنا ، لا لتصورهم وشعورهم ، وان كان مفرغا في قوالبهم محتذيا مذاهبهم اللفظية » .

وعلى الرغم من ان ثقافته في الادب الغربي لم تكن واسعة الا ان النقاد يعدونه من الشعراء المجددين ، لانه استطاع بهذا القدر من الثقافة الغربية ان يضفي على شعره روحا خاصة ، وان يجدد في الشعر الحديث ، وان يطرق كثيرا من المعاني والموضوعات الانسانية . وله دواوين شعر كثيرة منها : « الملاح التائه » و « الارواح الشاردة » و « ارواح واشباح » و « زهر وخمر » .

وولد بمدينة المنصورة في اواخر القرن الماضي.. وبعد ان تخرج مهندسا من مدرسة الفنون التطبيقية ، وتنقل ني وظائف الحكومة انتهى به المطاف اخيرا وكيلا لدار الكتب المصرية ، وظل بذلك المنصب الى ان توفي في ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

وقد انعكس اثر رحلاته الكثيرة في اوربا على شعره فاخرج الجديد المستحدث من القصيد وترجم بأحاسيسه عما شاهدته عيناه هناك ، من ذلك اغنية « الجندول » في كرنفال فينسيا التي يقول شاعرنا فيها :

أيها الملاح قف بين الجسور
فتنة الدنيا واحلام الدهور
صفق الموج لولدان وحور
يغرقون الليل في ينبوع نور
ما ترى الاغيد وضاء الاسرة ؟
دق بالساق وقد أسلم صدره
لمحب لف بالساعد خصره
ليت هذا الليل لا يطلع فجره !!
أين من عيني هاتيك المجالي
يا عروس البحر يا حلم الخيال ؟

وقصيدته « المدينة الباسلة » في ديوانه «زهر وخمر» تقص بطولة الروس في دفاعهم عن مدينة «ستالينجراد» في الحرب العالمية الثانية حين اقتحم الالمان اسوارها بعد محاصرتهم لها حصارا عنيفا ، وظل الصراع الدموي بين المهاجمين والمدافعين عن تلك المدينة يقوى ويضعف زهاء ستة اشهر حتى كتب النصر في نهايتها لاهالي المدينة الذين كان صمودهم نقطة التحول ، بل كان اول مسمار يدق في نعش الامبراطورية الالمانية .

وقد قدم الشاعر في هذه القصيدة الوطنية لبني وطنه وشباب قومه مثلا رائعا يقتدون به اذا ما فكر العداة الغاشمون يوما في العدوان على « مصر » أمهم الرءوم . وهو يعتقد ان الشبيبة المصرية لن يكونوا اقل من حماة

امـرأة

نشر الملاح التائه هذه القصيدة في مجلة الاديب عدد مايو ١٩٤٥

كم ليلة حمراء خلتُ ظلامها ... يدَ ماردٍ سلّتْ خضيب حسام
وكأن كل سحابةٍ في افقها ... شبح الخطيئة فوق عرضٍ دام
وكأن انجمها نوافذ حانة ... شرب الدخان بها بريق الجام
وكأن انوار المدينة تحتها ... سرُجُ الغواية في طريق حرام
همد الهواء بها فجهد حراكه ... هبوات نارٍ في نيث قتام
وكأنما اختنق الفضاء فكل ما ... فيه صريع ، او وشيك حمام
الفيتني جسداً تسارق روحه ... قُبلٌ عواصف ضرّجت بأثام
أجتاحها وأضج من لذعاتها ... فكأنها بدمي نقيع سمام
وعلى يدي مسحورةٍ مخمورةٍ ... ألتذّ كالمقرور حرّ ضرام
متضائل الافكار مهدور القوى ... متزايل الاهواء والاحلام
هي مَن ترى ؟ هي هنّ ! هنّ جواذبي ... بأنيق ثوب او رشيق قوام
الشاردات العائدات مع الضحى ... الطاردات وراء كل ظلام
هنّ اللواتي ان صحوت فانني ... منهن طالبُ مهرب وسلام
أخمدت فوق شفاههنّ شبيبتي ... وذبحت بين عيونهن غرامي

علي محمود طه

ستالينجراد بطولة وحبا لوطنهم ، وانهم سيصارعون المغير في كل شبر من ارضها ، وكأنه كان يسبق المستقبل حينما قال بعد ان حيا فتية الفولجا :

يا فتية «الفولجا» تحية شاعر ... رفت له في شدوه الاشعار
ملاح وادي النيل الا انه ... أغرته بالتيه السحيق بحار
ابدا يطوف حائرا بشراعه ... يرمى به أفق ويقذف دار
اني وقفت لكم مثالا رائعا ... يومى اليه في العلا ويشار
لشباب مصر وهم بناة حياتها ... وحماتها ان حاقت الاخطار
وبمثل ما قدمتمو وبذلتمو ... تغلو الديار وترخص الاعمار

وكأنه كان ينظر بظهر الغيب حين وجه هذا المثل لشباب مصر ، فسرعان ما اثبتت الايام ان المصريين لا يقلون في ميدان البطولة عن غيرهم ، ان لم يبزوهم ، ويأتوا من ضروب البسالة ما يجل عن الوصف ، وكأنه وهو الشاعر الملهم كان يعلم أن المعتدي سيزور دون جرعة مريرة من كأس البسالة المصرية على أيدي حماة بور سعيد ابان حصارها والعدوان الغاشم عليها سنة ١٩٥٦ .

القاهرة **محمود بن الشريف**

كانت اعز امنية على الحاجة زكية وهي في خريف العمر ان تزوج ابنها الاصغر حمدي وتشهد حفل زفافه قبل ان تؤذن شمس حياتها بالمغيب.

وانتهزت فرصة حصوله على بكالوريوس الطب والحاقه باحدى المستشفيات وصارحته بما يجيش بصدرها ويجول بخاطرها ، ولم يرفض حمدي بحث الموضوع لكنه طلب من والدته ان تمهله قليلا ليتدبر الامر ويمعن النظر .

وفي كل مناسبة كانت والدته لا تفتأ توحي اليه بأسلوب تعوزه الصراحة احيانا وتغلب عليه روح المكاشفة احيانا اخرى .. توحي اليه بان آمال بنت جارهم سعيد هي خير من تصلح زوجة له ، ولم تكن آمال غريبة على حمدي ... لقد كانت زميلته في الكلية واتمت دراستها معه في يوم واحد .

ورغم ان آمال كانت ذات جمال واخلاق عالية ونفس انسانية نبيلة .. ورغم انهما يستطيعان بالزواج ان يتعاونا في المهنة .. الا انه كان يشعر ان مستقبله ومستقبل اولاده يجب الا يرتبط بفتاة لا يملك والدها من حطام الدنيا سوى مرتبه

ولم يشأ حمدي ان يفاجيء والدته برايه هذا صراحة رفقا بشيخوختها واشفاقا على صحتها .. ولكنه لجأ الى طريق اخر .. اخذ يحدثها عن سعاد كريمة الحاج بركه تاجر الفاكهة الكبير الذي يمتلك ثلاث عمارات شامخة حديثة البناء بالاضافة الى المزارع المترامية الاطراف .

... حقيقة لم تكن سعاد ذات جمال باهر .. كما كانت متكبرة بعض الشيء .. لكن متى كان الجمال كل شيء في الحياة ؟

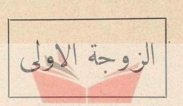
اما كبرياؤها فهذه مسألة تعالج مع الزمن ...

ونظرت الحاجة زكية الى هذا الموضوع نظرة قاتمة وبعد ان كانت تلح على ابنها في الزواج وترقب قبوله بفروغ صبر ، اصبحت تود ان يطوي القدر صفحة حياتها قبل ان تشهد زواج ابنها من سعاد .

كانت تعلم يقينا ان سعاد هذه «دلوعة» لا تصلح « ست بيت » ولن تستطيع ان توفر لابنها الهناء العائلي الذي تنشده له والذي وفرته هي لزوجها المرحوم اكثر من نصف قرن من الزمان .

اصبحت تتفادى كل حديث معه عن الزواج .. لكنه اخذ الامر مأخذ الجد .. وفي لحظة من لحظات التسرع توجه بنفسه الى الحاج بركة دون وسيط، وعرض عليه الموضوع..

ولم يبد الحاج ترحيبا ظاهرا وقال لحمدي « يا ابني كل شيء قسمة ونصيب .. لقد كنت اود ان ازوجها



بقلم فوزي عبد القادر الميلادي

من ابن احد تجار الفاكهة اصدقائي.. لكن على كل سافكر في الموضوع وعد الي بعد اسبوع » .

وبعد اسبوع عاد حمدي الى الحاج بركة يحدوه الامل ، وقابله الحاج مقابلة فاترة واخبره بأنه لا مانع لديه من تزويجه ابنته ولكن على شروط : وكان اول هذه الشروط ان يبتعد عن والدته بمعنى ان يسكن بعيدا عنها والا يسمح لها بزيارته في منزل الزوجية ... وفي سبيل ذلك ابدى له استعداده لان يخصص له شقة بدون مقابل في احدى عماراته الضخمة .

واما الشرط الثاني فكان ان يسمح



لسعاد بان تخرج وقتما تشاء وتعود عندما تريد دون ازعاجها باسئلة واجوبة ...

واما ثالثة الاثافي فكان الا تشغل سعاد نفسها بشيء من شئون البيت اطلاقا .. لتكرس وقتها للاستمتاع بمباهج الدنيا .

واذعن حمدي لهذه الشروط وهو لا يدري كيف اذعن ولكن والدته لم تذعن .. لقد كانت الصدمة اكثر مما تحتمل .. فصعدت روحها الى بارئها وبذلك حقق القدر امنيتها في الا تكتمل عيناها برؤية حمدي يتزوج من سعاد .

واصر الحاج بركة على عقد القران قبل حلول « الاربعين » وسايره حمدي في ذلك ودفع ثمن ذلك نقدا مرا سمعه من الاقارب والاصدقاء ، ولكنه كان يعزي نفسه بأن رضاء الحاج بركة امر جليل يهون في سبيله كل شيء .

وعقد القران .. وتم الزفاف ، وكان حمدي يشعر وهو يخطو الى منزل الزوجية بشعور غريب لم يدر كنهه ولا مصدره .. لكنه على اي حال.. كان شعورا بالانقباض والقلق.

وكان حمدي يؤمل ان تتغير طباع زوجته بعد الزفاف ولكنه صدم عندما وجدها لم تتبدل .. ظلت تتعالى عليه وتنظر اليه نظرة فيها كثير من الازدراء والاستخفاف .

وذات يوم تناهى الى سمعه صوت زوجته وهي تحدث بعض الضيوف في حجرة الصالون كانت تندب حظها العاثر الذي اوقعها في هذا الطبيب الناشيء الذي لم يرث عن والده درهما ولا دينارا .

وعندما اقبل المساء فاتحها حمدي في الموضوع في رفق وحذر واخذ يعاتبها عتابا رقيقا لكنها نظرت اليه في شراسة وقالت :

نعم ! ما هذا ! الا يكفيك ان والدي دفع تكاليف عقد القران والزفاف.. الا يكفيك ان والدي تعطف عليك بشقة طويلة عريضة دون ان تدفع

مليما من ايجارها .. الا يكفيك انه يرسل لنا يوميا مؤنتنا من الفاكهة دون ان يتقاضى ثمنا لها ! ماذا تريد بعد ذلك ... هل تريد ان تستعبدني .. هل تريد ان اسجد لك واسبح بحمدك .. ؟

وشعر حمدي بانه قد طعن في كرامته في الصميم .. لكن ما الحل .. انه لا يستطيع ان يطلب منها مغادرة المنزل .. فالمنزل ملك لوالدها .. والاثاث ملك لها وليس له في المنزل الا ملابسه .

وطوى جوانحه على الالم وفي هدوء جمع ملابسه ووضعها في حقيبة وانسل خارج المنزل ولم تحاول سعاد استبقاءه ولم تودعه حتى بكلمة .

وقضى ليلته عند شقيقه الاكبر محمود وهو تاجر ميسور الحال .. وظل الاثنان طوال الليل يقلبان الامر على وجوهه وما ان انبلج الصباح حتى كانا قد انتهيا الى راي عقدا العزم على تنفيذه .

توجه محمود الى الحاج بركة وقبل ان يدعه يتحدث في الموضوع اخبره بانه قرر ان يدفع نيابة عن اخيه حمدي ايجار الشقة سكنه اعتبارا من ذلك اليوم وان كل ما يرجوه هو ان تحسن سعاد معاملتها لزوجها

وبعد جهد جهيد ومحاولات عدة كللت مساعي الصلح بالنجاح .

وكان حمدي لا يعدم من اصدقائه فئة تضربه بشق عصا الطاعة على الحاج بركة وابنته ..

كانوا يدعونه الى الامتناع عن دفع الاجرة قائلين له انه اذا ما اراد الحاج بركة ان يحجز فليحجز على منقولات ابنته .. ومن الاصدقاء من كان يزين لحمدي فكرة استئجار شقة في حي متواضع بايجار مناسب ويطلب زوجته للطاعة في تلك الشقة امعانا في اذلالها وتحطيم كبريائها ..

ولكنه كان يشفق على نفسه من عناء هذه المشاكل .. وهو لا زال في فجر حياته وكان يمني النفس بان يد الزمن كفيلة بان تضمد جراحه وتهيىء له السعادة المنشودة .

وذات يوم عاد حمدي الى المنزل منشرح النفس متهلل الوجه واخبر زوجته بانه تقرر ايفاده في رحلة لزيارة بعض المستشفيات في فرنسا وانجلترا وسويسرا واعداد تقرير عن زيارته وان الرحلة ستستغرق عاما وبعض عام .. وستكون مناسبة رائعة يستمتعان فيها رؤية العالم .. وانتظر حمدي من زوجته ان تطرب لسماع هذا النبأ ولكنها اجابته في فتور بانها لا تستطيع ان تذهب بعيدا عن والدتها الحبيبة وانه اذا شاء السفر فله ان يسافر بمفرده ويتركها .. وهي على اي حال ليست في حاجة الى رعايته .

ونزل هذا الكلام على حمدي نزول الصاعقة وهز كيانه هزا عنيفا .. ولكنه لم ينبس ببنت شفة ولم يعاود الحديث في ذلك الموضوع بعد ذلك.

وذات صباح وبعد شهر تقريبا اخبرها بأن موعد سفره قد حان .. فأكتفت بأن قالت له «مع السلامة» ولم تكلف نفسها عناء توديعه في الميناء . »

وكان كلما وصل حمدي الى بلدة واستقر بها بعض الوقت ارسل لزوجته خطابا مستفيضا يبثها فيه عواطف الشوق والحنين .. وقد يرفق به صورة لاحد المناظر الطبيعية الخلابة للبلدة التي يقيم فيها .

وكان لا ينسى ان يضمن خطابه العنوان الذي تستطيع سعاد ان ترسل له الردود عليه .

وعندما كان حمدي في فرنسا لم يصله من زوجته الا رد واحد على خطاباته العديدة طلبت فيه بعض العطور من باريس وعندما كان في انجلترا لم يصله منها ايضا الا خطاب واحد ضمنته رغبتها في شراء بعض قطع الفراء الثمينة من لندن واستمر حمدي يواليها بعد ذلك بخطاباته الرقيقة التي تفيض حبا وحنانا واشواقا .. ولكنها لم تأبه بالرد عليها ، واخذت خطابات حمدي بدورها تقل بالتدريج حتى انقطعت نهائيا بعد وصوله لسويسرا بقليل .

وبدات سعاد تقلق .. صحيح انها كانت تجد متعة في اهمال الرد على زوجها لكنها كانت تجد متعة ايضا في تسلم خطاباته ثم ما باله يهملها هذا الاهمال ... اليست زوجته وشريكة حياته ؟ !

وظلت سعاد اياما عديدة تنتظر كل صباح على احر من الجمر مرور ساعي البريد لتسأله في لهفة عما اذا كان يحمل خطابات لها .. وغالبا ما كان رده بالنفي وفي المرات القليلة التي كان يسلمها فيها خطابا او خطابين .. كانت هذه الخطابات لا تعدو ان تكون اخطارات من شركة المياه او النور او نشرات من شركات الادوية .

كان يجول بخاطرها احيانا ان تكتب هي الى زوجها لكن سرعان ما كانت تغالب هذه الرغبة وتبعدها عن ذهنها لان تعليمات والدتها — التي لا تزال ترن في اذنها — كانت تقضي تصنع «التقل» واظهار عدم الاكتراث لان هذا النوع من الرجال — على حد تعبير والدتها — لا يجدي معه الذوق ولا المعروف .

ومرت شهور ... لا تذكر سعاد عددها بالضبط .. وكل الذي تذكره انها بعد هذه الشهور تلقت خطابا يحمل طابع البريد السويسري .

وعرفت من الظرف ان الخطاب مرسل من حمدي فأيقنت انه تاب واناب وانه يكتب اليها مستعطفا مسترضيا .. وفضت سعاد الخطاب في لهفة وبدات تقرأ ..

« حضرة السيدة المحترمة سعاد هانم ... »

وهنا توقفت سعاد لتتساءل .. لماذا يلقبها زوجها هكذا .. حضرة.. محترمة .... هانم ..

لماذا يخاطبها بهذه الالفاظ .. وقد كان عهدها به ان يخاطبها بزوجتي

مختارات لجاك بريفر

مترجمة عن الفرنسية

•

أغنية

أي يوم هذا ؟
هو كل يوم ، يا صديقي ،
هو كل الحياة ، يا حبيبتي ،
ونحن يحب احدنا الاخر ، ونحيا ،
نحيا ، ويحب احدنا الاخر
ولا نعرف ما هي هذه الحياة
ولا نعرف ما هو هذا اليوم
ولا نعرف ما هو هذا الحب .

خريف

يتهافت جواد في منتصف زقاق
وتتساقط عليه اوراق
فيرتجف حبنا
وترتجف الشمس ايضا .

لك ، يا حبيبتي

ذهبت الى سوق الطيور
واشتريت بعض الطيور
لك ، يا حبيبتي .
وذهبت الى سوق الزهور
واشتريت بعض الزهور
لك ، يا حبيبتي .
وذهبت الى سوق الحديد
واشتريت بعض السلاسل
بعض السلاسل الثقيلة
لك يا حبيبتي .
ثم ذهبت الى سوق العبيد
وفتشت عنك
ولكنني لم أجدك
يا حبيبتي .

باقة زهور

ماذا تعملين أيتها الطفلة
بتلك الزهور الندية ؟
ماذا تعملين أيتها الفتاة اليانعة هناك
بتلك الزهور اليابسة ؟
ماذا تعملين أيتها الغادة الحسناء
بتلك الزهور الذابلة ؟
ماذا تعملين أيتها العجوز الشمطاء هناك
بتلك الزهور الميتة ؟

فانا لا ازال انتظر الفاتح .

امريكا
محمد باقر علوان
جامعة وسكونسن ـ مادسن

•

العزيزة ... زوجتي الحبيبة .. وسائر العبارات الخلابة التي تسيل عذوبة ورقة وطلاوة !!

واستمرت سعاد في مطالعة الخطاب :

« بعد التحية ـ ارجو ان تكوني واسرتك بخير ..

هناك امر اردت ان اصارحك به وانا استعد للعودة الى ارض الوطن .. واعتقد انه لن يزعجك كثيرا ..

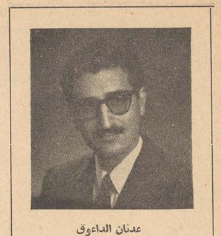
لقد تزوجت .. نعم تزوجت .. هنا في سويسرا .. تزوجت من آمال زميلة الدراسة لقد وجدتها تقوم ببعض الابحاث في المستشفى الذي كنت ازوره في سويسرا .. ووجدت لديها فهما صادقا لحقائق الحياة وتقديرا لمواهبي وطموحي واخلاقي ووجد كل منا في الاخر بغيته ..

لقد قررنا ان نفتتح عقب عودتنا عيادة مشتركة لامراض الاطفال ..

لقد قبلت آمال عن طيب خاطر ان تكون الزوجة الثانية وستظلين انت اذا شئت الزوجة الاولى .

كلمة اخيرة .. لقد تزوجت آمال لا لاسعد بالزواج فحسب .. وانما لاني وجدت في هذا الزواج تمجيدا لذكرى والدتي .. وتحقيقا لاخر واعز امنية لها وهي على فراش الموت . تحياتي والى اللقاء . زوجك « حمدي » .

الاسكندرية — فوزي الميلادي



عدنان الداعوق

لمحة عن القصة عبر التاريخ

بقلم عدنان الداعوق

* * *

قصة الكتابة : ارايت الى صفحة مطبوعة تنشرها امامك ؟ انها لتنشىء فصلا رائعا من قصة ممتعة ترجع فصولها الاولى الى الماضي السحيق ، وهي قصة بلغت من السعة والعمق مبلغا يستحيل على انسان واحد ان يلم باطرافها ومن ذا الذي يدري متى واين بدات هذه القصة في الظهور ، وماذا تبديه في مستقبل الايام ؟ وما ظنك بقصة كتبتها الانسانية كلها منذ دب على ظهر الارض انسان ؟

بل اننا اليوم اجزاء حية من هذه القصة ، فلنبدا حيث نقف اليوم ، ثم لنعد مع السنين القهقري حتى نبلغ من الرواية بدايتها ، فعيناك قد الفتا ان تنظرا الى صفحات مطبوعة ، حتى لم يعد يستوقف هذا الضرب من الكتابة منك النظر ، وعلام تعجب وانت ترى الصحيفة اليومية مطبوعة في انتظارك كل صباح على مائدة الافطار ؟ دراهم معدودة كفيلة ان تاتيك باية الايات من رفيع الادب ، مطبوعة في كتاب انيق جميل ، فاصبحت وكانما اخراج المطابع للكتب امر مالوف لا دهشة فيه ولا عجب ، مع انه في حقيقته امر يستثير كل عجب واعجاب .

انظر الى هذه الوسائل التي تتوسط بين قلم الكاتب وعقل القارىء ، فلعل اعجبها هي المطبعة التي قد يكون لها من الاثر في المدنية الحديثة ما ليس لعامل اخر على الاطلاق ، وقبل ان تدور من المطبعة عجلاتها لا بد ان تكون الات اخرى قد اخرجت الاحرف مسبوكة جميلة الرسم بديعة التنسيق ، ولا خير في هذه الاحرف ان لم تكن مصانع الورق قد اخذت تخرج من لباب الشجر وبالي الخرق انواع الورق المختلفة .

سر خطوة قصيرة الى الوراء لتبلغ عصرا كان يجهل قوة البخار والكهرباء ، فكانت المطابع — كسائر الات الصناعة — تدار بالايدي ، فماذا ترى ؟ فلئن كان آباؤنا قد طبعوا كتبهم بمطابع الايدي ، وعلى ورق من صنع الايدي ، فلقد اخرجوا كتبا اقوى بناء من معظم ما تخرجه مطابع اليوم ، وابقى على وجه الدهر . ثم ماذا قبل المطبعة والطباعة ؟

تابع الرحلة الى الماضي السحيق حتى تبلغ عهدا لم تعرف فيه اوربا كيف يكون الورق ، او عرفت منه القليل الضئيل ، اذ ان الورق صناعة اهل الصين ، ثم اهل مصر، وعنهم اخذ العرب الذين علموا صناعته الى جيرانهم من اهل الغرب ، فالاوروبيون مدينون بهذه المادة — التي لها من القيمة في تقدم العلوم ما لها — لثلاثة اجناس من البشر ، وهم الصينيون والمصريون القدماء والعرب .

وقبل ان يذيع استخدام الورق ، كانت تكتب الكتب والوثائق والرسائل على نوع خاص من الجلد ، والجلد بطبعه طويل البقاء بطيء البلى . فقد كان الفرس يكتبون في جلود الجواميس والبقر والغنم ، وكانت العرب تكتب في العظام وفي الحجر ، وفي الجلد ايضا ... وكان قدماء المصريين يكتبون اثارهم على جلاميد الصخر ، واوراق البردي . (والبردى نبات له ورق كبير وسميك ومسطح يتحمل الحفر والنقش ، كانت تكتب عليه السجلات والرسائل ، وتحفظه طبيعة مصر الجافة .) وهكذا بقية الامم الاخرى ...

نشأة الادب : لا بد ان تكون الافكار — وهي احد عناصر الادب — قد انشئت قبل ان تدور بزمن طويل ، فقد كان اباؤنا الاولون الذين سكنوا الكهوف ، يجلسون حول النار يستدفئون ، ثم يأخذون في قص الاقاصيص حول ما صادفهم من الحيوان في صيد النهار ، وما وقع لهم مع جيرانهم من ضروب القتال والنزال ، ولا بد ان يكون اولئك الاباء قد انشأوا القصص واكتشفوا الاناشيد وجاءوا بالحكمة ... فوضعوا لنا من بعدهم اسس الادب ، بل وضعوا كذلك اساس القانون والاخلاق والدين .

ولبث الادب زمنا طويلا يعتمد على الرواية قبل ان يعتمد على الكتابة ، ولا يزال الجبليون الاجلاف في امريكا يرددون القصائد الطوال التي هبطت اليهم من اجدادهم النازحين في انكلترا في ماض بعيد .

وحين تقدمت بالانسان حضارته ، اضطرته الحاجة الى الكتابة ، فقد كان لا بد له من ان يسجل بها اشياء

● حديث ألقي بالمركز الثقافي العربي بتدمر .

يخشى عليها من النسيان ، وكان لا بد له من وسيلة يخاطب بها من يفصله عنه بعد المكان ، لهذا اضطر الانسان الاول مدفوعا بضرورة الحياة ان يصنع طريقة للكتابة ، اما وقد كتب فليدون اذن ما كان قد انشأه من اناشيد النصر ودعوات الدين ، ولا شك ان من كان يستطيع الكتابة والقراءة بين اولئك الاقدمين نفر قليل ، واول صورة ظهرت فيها الكتابة لم تزد على نقوش ساذجة يصورها كاتب وينحتها على الصخر ناحت ، ثم اصبحت الكتابة نقشا بمسمار على اقراص من الطفل المجفف .

وقد وجدت في (كلديا) – وكلديا : تطلق على الوادي بين دجلة والفرات ، وقد تكون الوادي منها ، نماذج من هذه القوالب الطفلية ، دونت في احداها قصة الطوفان، ولعلها تكون اقدم اثر مكتوب ، وهناك شبه كبير بين قصة الطوفان الواردة في سفر التكوين ، والرواية الكلدانية التي سبقت التوراة بآلاف السنين .

كان الكاتب في (كلديا) مأجورا للملك يصحبه الى حومات الوغى وساحات الحروب ، ليثبت لمليكه ما يغزو من المدن وما يفتك به من الاعداء ، وما يظفر به من الغنائم والاسلاب ، ثم ليشيد قبل كل شيء بأقدام سيده وبسالته في القتال . وكانت الدولة تستخدم الى جانب هؤلاء الكتاب طائفة من الكهان تنقش على قوالب الطفل الصلوات والدعوات وطائفة ثالثة تكتب قواعد الزراعة وحوادث السياسة والتنجيم .

ويشارك الادب الكلداني في القدم ادب المصريين القدماء الذي سجل على الاثار واوراق البردى ، واقدم كتاب مصري انتهى الينا علمه هو كتاب (الموتى) الذي دون في عصر بناء الهرم الاكبر ، ولا تزال نسخة منه محفوظة في المتحف البريطاني . وقد عثر فيما عثر عليه من القصص والادب الفرعوني القديم ، الاناشيد الدينية والاغاني الشعبية ، والغزل الرقيق ، اليك بعض هذه النماذج من الغزل :

« قد اتعالل وما بي من علة ، ولكن ليعودني جيراني ، وتعودني اختي (وكانوا يطلقون على الحبيبة كلمة اخت.) وستهزأ اذ ترى اطباعي ، لانها تعلم كامن دائي .

ليتني كنت امتها السوداء التي تلازم خدمتها ، اذن لملأت عيني برؤيتها وسعدت بالنظر الى محاسنها ، بل ليتني كنت خاتمها في اصبعها ، او عقد الزهر يطوق عنقها ، ويداعب صدرها ... »

ووجد في مكان اخر نموذجا لغزل فتاة هذا نصه :

« اني لاذكرك فيضطرب قلبي ويشتد خفقانه .
ان حبك ليخرج بي عن المألوف من حياة امثالي .
فلا اعرف كيف البس ثيابي ، ولا كيف انظم متاعي ،
او اكحل عيني ، او اعطر جسمي .
اسكن يا قلب . وخفف من خفقانك ،
والا رماني الناس بالجنون .
اهدأ يا قلب . وتماسك ،
ولا تضطرب اذا فكرت فيمن احب ... »

ان نظرة واحدة الى بقية حضارات الامم الاخرى تدهشنا ، والاداب والعلوم والفنون التي تركوا لنا منها الاثار العظيمة تذهلنا ، فاذا ما نظرنا الى الصين وتعمقنا في ادابها القديمة ، وجدنا الاف القصص ومئات الاساطير ملأت وجها مشرقا من وجوه الادب الرائع في الشرق ، والحكم والاناشيد والروايات التي ما يزال مئات الالوف في الصين يحفظونها عن ظهر قلب وتجري على السنة العامة مجرى الامثال هي خير دليل على ما ندعي ونقول .

واما في الادب الهندي فاننا نرى الملاحم ممزوجة بالاساطير ... تلك الاساطير التي ملأت رحاب الادب الهندي ، وصارت لدى كل هندي التاريخ المشرق من تراث امته المجيدة الغابرة . وغالبا ما كانت القصة في الادب الهندي القديم تجري على شكل واضح بسيط رغم ما يخالف مفهومنا اليوم للرواية والقصة .. وكثيرا ما كانت القصة في الادب الهندي القديم تأخذ شكل القصيدة الشعرية ، كما هو مبين في هذا النموذج لقصة مدينة كانت موطن احد ملوك الهند ، كتبها الشاعر الهندي القديم (كاليداسا) يقول في مطلعها :

« كانت هنا بحيرة ترد اليها الغانيات لتتبرد بمائها
وكان لموجها المتلاطم انغام تشجي .
فأصبحت اليوم موردا لوحشي البقر تضرب ماءها بقرونها .
فلا تسمع الاذن غير الصدى لصوت الماء تلطمه القرون... »

واذا ما امعنا النظر في الكتاب الهندي القديم «جاتاكا» نجده كتابا مليئا بالقصص الفكاهية ، وقصص الحكمة والشواهد المنتزعة من الحياة الشعبية . فكما انك تستطيع ان تتصور الحياة في بغداد في عهد هارون الرشيد من قراءة قصص « الف ليلة وليلة » لا من المؤلفات التاريخية، فكذلك قصص « جاتاكا » تصور لك الهند القديمة في اسواقها وقوافلها ، ومزارعها ومعسكراتها ، ومصانعها ومعابدها .

وليس الى هذا من القصص نقف فحسب ، فهناك ايضا القصص الرائعة السامية في الادب الفارسي القديم كتب جلها او كثير منها بيد نبي الفرس (زرادشت) الذي كان له فضل كبير على الفرس . ويروى عن نبي الفرس اساطير منها انه لما حملت به امه هتف بها هاتف في النوم ينبئها بما قدر الله لوليدها من مستقبل عظيم ، وانه سيعرج الى السماء حيث يتلقى عن ربه (الكتاب المقدس) . وقيل منذ ان شهد (زرادشت) نور الحياة بدت عليه علائم النبوة ، فقد قيل انه ضحك ساعة مولده ، وانه منذ الصبا كانت له مكانة ممتازة في نفوس الناس ، فلما اكتملت رجولته اخذ يدعو الى التوحيد ويقاوم عبادة الاوثان .

ثم يأتي بعد ذلك دور الادب العبري ، واول ما ينبغي ان نشير اليه هو الكتاب المقدس ، وهو يشمل العهد القديم

والعهد الجديد ، او التوراة والانجيل ، ويمكننا اعتباره آية من آيات الادب قد نقراها لنستمتع بها كما نستمتع بأي كتاب ادبي اخر من كتب الشعر والنثر ...

فالتوراة اساس الادب العبري والديانة اليهودية ، كما انها اساس الديانة المسيحية .

اما التلمود فطائفة من القوانين تناولها بالشرح والتعليق قادة الديانة اليهودية على مر القرون ، ويجمل بنا ان نقف قليلا ونحن نقرا قصة ذكرت الى جانب مئات القصص في التلمود :

« حدث ذات مرة ان ارسل حاكم مدينة خادمه الى السوق ليشتري له سمكا ، فلما بلغ الخادم حلقة البيع وجد السمك وقد بيع كله الا واحدة كان يساوم في شرائها خائط ، فقال خادم الحاكم : « سادفع قطعة ذهبية ثمنا لها » فقال الخائط : « سادفع اثنتين » فلم يلبث الخادم ان دفع ثلاثا ، لكن الخائط لم يدعها تفلت من يده حتى لو اقتضاه شراؤها عشر قطع ذهبية ، فعاد الخادم الى سيده وقص عليه ما حدث ، فأرسل الحاكم في طلب الرجل ، فلما مثل بين يده سأله : « ما مهنتك ؟ » فاجاب الرجل : « خائط يا سيدي » . فقال الحاكم : « كيف تستطيع ان تغالي في الثمن لتشتري سمكة . وكيف تجرؤ ان تضع من كرامتي بأن تعرض ثمنا اعلى مما يعرض خادمي ؟ » فأجاب الخائط : « لقد نويت الصيام غدا ، واردت ان اقتات بالسمكة اليوم لتكون لي القدرة على صيام الغد ، لهذا ما كنت لادع السمكة تفلت من يدي ولو اشتريتها بعشر قطع من الذهب . » فأجاب الرجل : « وهل تقبل ان يفضل عنك رجل سواك ؟ » فقال الحاكم : « لا لان الملك اراد لي ان اكون في هذا المنصب . » فأجاب الخائط : « وعلى هذا النحو اراد ملك الملوك لهذا اليوم ان يفضل عن سائر الايام ، ونحن في هذا اليوم نرجو ان يغفر لنا الله ما اقترفنا من اثم . » فقال الحاكم : « ان كان هذا فانك على حق . » ومضى الخائط سالما .

الاساطير : ان الاساطير بحد ذاتها تستطيع ان تقول انها تصور عقلية الانسان الاول في فهمه للاشياء . والاساطير عند اليونان تتخذ اساسا للادب ويقوم عليها . ونستطيع كذلك ان نقول ان الاساطير اليونانية كان لها اثر قوي في الاداب العالمية ، وخاصة في الادب الاوروبي . فهناك اسطورة (كيوبيد وسيكه) سيكه معناها النفس ، وكيوبيد اله الحب . واسطورة (ديانا) الهة القمر .. واسطورة (اكونارسيس) — اي اسطورة الصدى والنرجس .

واذا ما اردنا ان نقف امام اسطورة ما ، فاننا نجد في اسطورة (اكونارسيس) التي تتلخص فيما يلي اروع العبر . « كانت (اكو — وهي عروس الجبال — بارعة في جمالها — ولكنها كانت كثيرة الحديث والكلام ، قضت عليها (ديانا) — الهة القمر — بالعقاب الشديد لتفقد قوتها على النطق والتعبير ، ولا تستطيع ان تقول الا الكلمة من اخر حديث ، كل حديث تسمعه . ويشاء حظ اكو ان تغرم بشاب جميل هو (نارسيس) — اي النرجس — وتهيم بمفازلته ، ولكنها لا تجد اللسان يقوى للتعبير عما تريد ان تقول ، فنال منها الحزن كثيرا ، واخذت تذبل ويذوي جسدها الغض حتى فني هذا الجسد ، ولم يبق منها سوى صدى كلمة من حديث صديقها لها .. وبهذا استطاعت الهة القمر ان تعاقبها لا لذنب اقترفته او خطيئة ... الا لانها كانت ثرثارة تكثر من الكلام في مناسبة او بلا ادنى مناسبة .

الملاحم : واذا ما تدرجنا ايضا في سبر غور الادب اليوناني القديم ، نجد ان الملاحم كانت تؤلف قطاعا هائلا وما تزال ، من ادب اليونان . ويشهد على ذلك كتاب (الالياذة والاوذيسة)، رائعتا شاعر اليونان الاكبر هوميروس.

وقد لا نستطيع ان نعطي ملخصا لهذين الكتابين الرائعين ، فان اردت ان تستمتع بجمالها حقا ، فليس لذلك من سبيل سوى قراءتهما في اصولهما او تراجمهما الوافية الدقيقة ... وقد نالتا اعجاب الادباء في كل العصور ، وترجمتا الى اكثر اللغات ، وقد ترجمت (الالياذة) الى اللغة العربية ، ولكنها فقدت كثيرا من جمالها ، ويرجع ما (لهوميروس) وملحمتيه من شهرة ادبية خالدة الى ما فيهما من البساطة والقوة في الاسلوب والصدق والجمال.

ويأتي بعد ذلك دور الرواية والمسرحية عند اليونان . فقد نشأت الرواية والمسرحية — اول ما نشأت — في الاحتفالات الدينية التي كانت تقام تكريما للاله (ديونيسوس) اله الاثمار ، وبخاصة العنب والخمر . واول من الف في الرواية هو « أسنجيلوس » الذي خلف لنا سبع روايات كاملة مما كتب ، حين بلغ ما كتبه سبعين مأساة تدور كلها حول موضوعات دينية او اسطورية . اما ثاني النوابغ عند اليونان فهو «سوفوكلس» الذي كتب اكثر من مائة رواية، بقي منها سبع ، ومن اشهر رواياته « اوديب الملك » و « انتيجونا » و « الكترا » و «اياس» وان لهذه الروايات لاثرا كبيرا في الادب الحديث ، وفي مسارح العالم . ولعل قصة « اوديب » الذي قتل اباه وتزوج من امه عن غير علم ان تكون من اروع وابشع ما يراه الانسان ممثلا على المسرح، ولا بد ان يكون اثرها اشد وقعا في نفوس اليونان منه في نفوسنا ، لانهم كانوا يعرفون القصة ...

هذا بالنسبة لليونان اما عند الرومان فقد كان مطمح الادباء الرومان ان ينشئوا ادبا يوازي في عظمته ما انشأته اليونان ، فذلك ما املاه عليهم الطموح في الفن واوحاه اليهم حب الوطن . ولئن فاتهم ان يحققوا هذا الامل في الروايات والمسرحيات ، فقد اوشكوا أن يحققوه في الشعر على يدي شاعر اللاتين الاكبر « فرجيل » الذي ظل الاوربيون قرونا يطلقون عليه اسم (الشاعر) كما كانوا يطلقون على ارسطو اسم (الفيلسوف) .

اننا نقف الان على اعتاب الادب في العصور الوسطى ،

فنبتدىء بالادب الانكليزي لنعرض أهم ما دار حوله من اساطير .

واول تلك الاساطير قصة (ارثر) التي نقلت الى الادب الانكليزي بعد ان نمت وتكاملت في الادب الفرنسي ، وقد جمع اطراف القصة واجزاءها الكاتب (السيد تومس مالوري) في النصف الثاني من القرن الخامس عشر في كتابه (موت ارثر) الذي اوحى الى كثير من شعراء العصور الحديثة وكتابها ، فأعادوا كتابة القصة بكثير من الفخر والاعتزاز .. ولعل (السير تومس مالوري) أول من طلع في الادب الانكليزي بهذا الفن .

واما في فرنسا فاننا نطالع اول ما نطالع القصص المتنقلة على السنة (الشعراء الطوافون) او «التروبادور» الذين نقلوا الينا الشعر الذي يحكي القصص التي تدور حول الحب ، فهم يعدون بحق طليعة الادب الرومانتيكي – ادب الخيال والعاطفة – وقد اتصل ادب ابانيا بالادب الفرنسي. فاسطورة (السيد) اصبحت موضوعا تحاك حوله قصص البسالة والبطولة.. وهي قصة رجل اسباني قاتل المسلمين في الاندلس واصبح اسطورة تتناقلها الاجيال في اوربا .

ولعل من اشهر ادباء فرنسا في القرن الثالث عشر ملكها (الفنسو) الذي يلقب (بالعالم) الذي امسك السيف باحدى يديه محاربا وحمل القلم بالاخرى كاتبا .

ونبلغ العجب ، اشد العجب ، ونحن نقف امام رائعة (دانتي) الشاعر الايطالي الشهير الذي يعد لوحده نهضة في الادب والفن ، ففي (الكوميديا الالهية) ، وهي رحلة خيالية في الجحيم وفي الفردوس ، نجد الشاعر وقد بلغ بها الجودة الفنية في جدود الكمال .. فقد جمع في (الكوميديا الالهية) حكمة العصر، فانه حين يرتحل ليشهد الموتى ، تراه يحمل في جعبته حقائق التاريخ وتراجم الاعلام والابطال .

انا نكاد نتلهف ايها السادة الى قصة الادب العربي ... فنبدأ من الحجاز حين كان العرب قبائل متعددة لهم عواطفهم الخاصة المميزة عن كل جنس ، في الحب والبغض والثار والحرب والكرم والخيال .

واول ما نطالع من قصصهم احاديث الرواة التي كانوا يتناقلونها جيلا بعد جيل مستمدة من عامل الزمن القوة والجبروت والاعمال الخارقة التي تنسب لابطالها ، كذلك حفظة الانساب الذين كانوا يحفظون انساب كبار القوم ويتفاخرون بها .

ثم يأتي دور القرآن : حين دوى بالمسلمين دوي الصاعقة، فتذوقوه في موضوعه واسلوبه ، وتشربوا بروحه ، واتخذوه اماما في الادب العربي ، وتلاوة في الصلاة ، وقانونا يحكم فيما يعرض لهم من احداث ، فكان للقرآن أثره في الثقافة الاسلامية بجميع نواحيها ، وتعدد فروعها، ومن الناحية الادبية كان تأثيره في اللغة والاسلوب في جميع الاقطار الاسلامية قويا واضحا .

واذا كنا الان نبحث في القصص ، فالقرآن يعد أعظم كتاب ينسق القصة تنسيقا واضحا ، ففي القرآن الاف القصص ... فهناك قصة الاسراء ، وقصص كثير من الانبياء ، كقصة ابراهيم ، وقصص بني اسرائيل ، كقصة يوسف وموسى ، وقصة مريم وعيسى ويحيى ، وقصص اهل الكهف .

ويجيء دور العصر الاموي .. فيعمل فيه الشعراء والكتاب ، ويتركوا لنا اثرا ما يزال حتى اليوم ينتصب عملاقا امامنا . وعاد الرواة وبداوا يروون احوال العرب في جاهليتهم واخبار ماضيهم .. اذ كان بعض الخلفاء الامويين مولعا بسماع اخبار ايام العرب ، وقد روى كل ذلك بشكل بدائي مملوء بالاساطير والفن القصصي المبتكر.

واما في العصر العباسي ، فقد رأينا امتدادا كبيرا للعصر الذي سبقه فخلف فيه الكتاب والرواة الاثار الحية الباقية الى اليوم ، فهذا عبد الحميد الكاتب ، وعبد الله بن المقفع، والجاحظ .. ويعد هذا الاخير امام الناثرين . ولا بد من ذكر كتب هؤلاء وغيرهم التي نقلت لنا مفهوم الادب بصورة عامة والقصة بشكل خاص في اطار جديد أثر فيه عصرهم وخيالهم وجدهم الادبي العام .

فالبخلاء ، وكتاب الحيوان ، ورسالة الصحابة ، وكليلة ودمنة (وهذا الكتاب يرجع في الاصل الى الفارسية) وعيون الاخبار ، والف ليلة وليلة والاغاني وهذا كتاب واسع ضخم الفه (ابو الفرج الاصبهاني) ، وقد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل ، وهو عربي اموي يتصل نسبه (بمروان بن الحكم من بني امية) ، وهو مع ذلك شيعي ويندر التشيع في بني امية . ولقب (بالاصبهاني) لانه ولد في (اصبهان) ، لكنه نشأ في بغداد ، وقد روى عن كثيرين ، وطالع كثيرا من الكتب وكان قوي الحافظة ، فوعى في ذاكرته الوفا من الاشعار والاغاني والاخبار والاثار والاحاديث .

وكتاب (الاغاني) اشهر من ان نعرف به ، وقد اتفق على انه لم يؤلف مثله في بابه ، ويقال انه اشتغل في جمعه وتاليفه نحو خمسين سنة ، ولما تم تاليفه حمله الى سيف الدولة ، فأعطاه الف دينار ثمنا له . ولم يبق احد من امراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغني به عن سواه ، وقد كان (الصاحب بن عباد) اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال ، فلما اقتنى كتاب (الاغاني) استغنى به عنها .

والكتاب واسع لما حواه من التراجم والاخبار ، ولولاه لضاع كثير من اخبار الجاهلية وصدر الاسلام وايام بني امية ، والكتاب يعد اماما في القصص والروايات الموضوعة، وقد صدر الكتاب بمائة صوت ، (كان هارون الرشيد) قد امر مغنيه (ابراهيم الموصلي) وغيره ان يختاروها له ، وسار (الاصبهاني) على هذا النحو ، وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب ، اذ يجدر به ان يكون بين كتب الموسيقى.. لكن اهميته قائمة بما فيه من القصص والاخبار

والاشعار ... لان المؤلف اذا ذكر ابياتا على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها وترجمته ، والاحوال التي قيلت فيها من حرب او حب في الجاهلية او الاسلام ، ومن غناها ومن شهد ذلك واسبابه واحواله ، فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . ومقامات الهمذاني، ومقامات الحريري) .

واذا ما تعمقنا قليلا في دراسة الفن الروائي والقصصي عند العرب ، يظهر لنا ان العرب قلما اهتموا بهذا الفن في صدر دولتهم ، او التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم ، فلم ينقلوا (الالياذة) ولا (الانيادة) ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان ، لكنهم نقلوا شيئا من هذا القبيل عن الفرس والهند على يد (عبد الله بن المقفع) و (جبلة بن سالم) وغيرهما ، فمما نقل عن الفارسية كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (رستم واسفنديار) وكتاب (الادب الكبير) و (هزار افسالة) وشهريار مع ابرويز و (الكارنامج في سيرة انوشروان) و (دادا والصنم الذهب) و (بهرام ونرسي) . ومما نقل عن الهندية كتاب (سندباد الكبير والصغير) وكتاب (بوداسف) .

على اننا نرى بين ايدينا قصصا وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقراونها ، اشهرها قصة (عنترة) (والف لبلة وليلة) و (ابو زيد الهلالي) و (الزير) و (الملك سيف) و (الملك الظاهر) و (علي الزيبق) و (فيروز شاه) وغيرها ... وقد وضع اكثر هذه القصص بعد العصر الثالث . ونستطيع ان نقسم هذه القصص والروايات الى موضوعة ومنقولة .

اما القصص الموضوعة فأشهرها قصة (عنترة) وهي اكبر القصص الحماسية العربية ، او هي بالاحرى عدة قصص متداخلة متسلسلة لا تحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها .. وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل اداب الجاهلية واخلاق اهلها وحروبهم وعاداتهم وتقاليدهم .

واما قصة (البراق) فهي طائفة من الروايات العربية الحماسية ، منها قصة (الحارث بن عباد) وهي القصة الاولى في المؤلف الجامع ، ثم قصة الحرب بين وائل واليمنيين ، ثم قصة حرب البسوس .

ومن القصص المدونة ايضا قصة (بكر وتغلب) ثم قصة (شيبان مع كسرى انو شروان) .

وهناك عشرات القصص والروايات الغرامية الاخرى وضعها العرب من عند انفسهم، وهي تصور قصص العشاق العذريين وفيها تمثيل العفة والتفاني في سبيل الحب .

واما القصص المنقولة فهي في الواقع تمثل آداب الامة التي نقلت القصص عنها .

ولعل اشهر الكتب المنقولة كتاب (الف ليلة وليلة) ، وهي مجموعة قصص متسلسلة تدخل في بضعة الاف صفحة ، وهي مشهورة ومتداولة ولها عدة طبعات ، واختلف الباحثون في اصلها وتاريخها ، وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه ووضعوه ، ولها اصل نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ونعني به كتاب (هزار افسانة) .

رسالة الغفران : كنا ايها السادة قد افردنا فيما سبق قبل قليل جزءا من حديث مقتضب عن رائعة الشاعر الايطالي دانتي «الكوميديا الالهية» وقلنا عنها انها تعد لوحدها نهضة ادبية فريدة .

ولكن العجب اشد العجب عندما نعلم ان رائعة (دانتي) لم تكن الاولى من نوعها ، ورحلته لم تكن الرحلة الاولى الى الفردوس والجحيم ، بل كان قد سبقه اليها شاعر عربي عبقري هو ابو العلاء المعري والف كتابه الجامع « رسالة الغفران » .

ورسالة الغفران جملة رسائل ، وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلته ، وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه احد ، فتخيل رجلا صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك ، كما فعل (دانتي) في الكوميديا الالهية وكما فعل الشاعر الانكليزي ملتن في «الفردوس المفقود» لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون ، لان (دانتي) توفي نحو سنة ٧٢٠ هـ. و (ملتن) سنة ١٠٨٤ هـ.، وتوفي (ابو العلاء) سنة ٤٤٩ هـ. فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه وانهما قد تسربت اليهما اخبار (رسالة الغفران) ان لم نقل قد قرءآ عنها الشيء الكثير .

لعلنا ايها السادة قد تكلمنا طويلا في اداب القصة العربية، ونريد في لمحة موجزة ان نتحدث عن ابرز كتاب القصة في العالم منذ ميلاد فن القصة الحديثة على يد (بوكاشيو) في القرن الرابع عشر حتى (توماس هاردي) في القرن العشرين .

فـ (جوفاني بوكاشيو) كاتب ايطالي شهير ، كتب في القصة طويلا ، ولعل ابرز ما تركه لنا كتابه المعروف (ليالي الكاميرون) وهو مجموعة قصص قصيرة متسلسلة قريبة الشبه جدا بقصص (الف ليلة وليلة). وقصص (الكاميرون) قصيرة جدا ، واغلبها فكاهي مرح ، حتى الحزين منها لا يترك في نفسك اثرا من الم . واليكم هذه القصة القصيرة مما كتب :

« اراد ملك ان يغامر في منزل سيدة جميلة ، وابتدا يحاول اغراءها ، وكان الملك يشتهيها ، فارسل زوجها الى الحروب الصليبية ، ودعا نفسه الى منزلها لتناول العشاء. وكانت السيدة لا تستطيع عصيان الملك وهي مع ذلك لا تريد الاستجابة لرغباته ، فتعد مادبة فاخرة تتكون من عدد من الدجاج قد اختلف تشكيله وطهيه ، فلاحظ الملك انه لم يقدم اليه غير الدجاج ، واصابه الدهش ، فقال : سيدتي ، اليس يوجد في البلاد طعام اخر .. ؟ فأجابت السيدة :

يوجد يا مولاي ، ولكن النساء كالدجاج على اختلاف المظهر سواء في كل مكان .. ! »

ولا شك اننا نحفظ للان قصة رائعة لا تزال تحتل الصدارة في القصص العالمي ، وهي قصة دون كيشوت وكاتبها غني عن التعريف وهو (ميجويل سرفتس) الكاتب الاسباني الذي عاصر شكسبير في انكلترا .

ثم نأتي في الذكر على الكاتب الانكليزي الشهير السير والتر سكوت الذي ترك لنا اعظم اثر قصصي هو قصص (ويفرلي) .. وكان (سكوت) شاعرا ايضا ، ايقن ان القصة لم تتوضح معالمها في الادب ولا بلغت مكانة الشعر ، فكان ينشر اغلب قصصه دون ان تحمل اسمه ، الى ان التفت الناس الى مطالعة قصصه ... وعرفوه اخيرا وعرفوا فيه الكاتب القصصي المبدع . وقد ترك لنا سكوت من اثاره قصة (الطلسم) ، وهو مؤلف قصصي ضخم يروي بعض قصص الحروب الصليبية والبطولات العربية .

وتمضي السنون ونعرف في عام ١٧٩٩ ميلاد قصاص مبدع هو (بلزاك) صاحب كتاب طبيب الريف ، ومؤلف عشرات الكتب القصصية والمسرحية الاخرى ، ويمضي ولا يكاد الناس ينتبهون لموته ، فهم لم يمنحوه تمجيدا ولا تكريما لا في حياته ولا في موته .. وقد كان دوما يحلم بالمجد .. المجد الذي قال عنه دائما (هو شمس تشع على الموتى) . الا ان الادب الحديث وضع بلزاك في المكان الذي كان يحلم به .. مكان الخالدين .

ثم تتابع عجلات الزمن دورانها ، وتدور عجلات المطابع فتقذف الينا بنوابغ اعلام الفن القصصي امثال : الكسندر دوماس ـ الاب ، والابن و فيكتور هيغو صاحب الرائعة الشهيرة (البؤساء) وجوستاف فلوبير مؤلف رواية (مدام بوفاري) المعروفة . وشارلز ديكنز صاحب (قصة مدينتين) و (اوراق بيك ويك) و (ازهار الشر) .

ويطلع علينا الادب الروسي بالمؤلف العبقري الشهير فيدور ديستوفسكي مؤلف كتاب (الجريمة والعقاب) ويأتي بعده تولستوي ويعطي للادب العالمي روائعه القصصية واهمها قصة (الحرب والسلم) و (العجلة تدور وتدور) فنعرف موباسان واميل زولا وفي النهاية يأتي دور توماس هاردي مؤلف كتاب (جود المغمور) الكتاب القصصي الذي لاقى من النقد ما لم يلاقه كتاب اخر على الاطلاق .

ونعود مرة اخرى الى القصص والروايات في عصر النهضة في الشرق العربي لنلقي ضوءا ساطعا على ما الفه بعض الكتاب في هذا الفن ، ومن اقدم المشتغلين بهذا الفن الكاتب والشاعر الحلبي فرنسيس مراش الذي ولد في حلب سنة ١٨٣٦ وسافر الى باريس لدراسة الطب ، ولكنه عاد قبل ان يتم دراسته لانحراف صحته ، عاد وهو مكفوف البصر ، ومن اشهر ما تركه لنا روايته (در الصدف في غرائب الصدف) . وهي رواية اجتماعية طبعت في بيروت . ثم سليم بطرس البستاني الذي الف بضع روايات تاريخية . ثم جرجي زيدان مؤسس (دار الهلال) الذي الف سلسلة من روايات تاريخ الاسلام من اول ظهوره حتى الان ، صدر منها ١٧ رواية غير رواياته الاخرى التي ما نزال نقرأ طبعاتها المجددة للان . ثم الشيخ نجيب الحداد اللبناني الذي اغنى المكتبة العربية بعديد من مؤلفاته في القصة والرواية نذكر منها على سبيل المثال : « رواية صلاح الدين » وهي من اصل الكاتب الانكليزي السير والتر سكوت . ورواية «السيد» وهي من مؤلفات الكاتب الفرنسي كورنيل نقلها الى العربية وسماها « غرام وانتقام » وقد مثلت مرارا . « ورواية المهدي » وهي رواية تاريخية فيها بعض حوادث المهدي السوداني . « ورواية حمدان » وهي معربة عن رواية (هرناني) لفيكتور هيغو . « ورواية شهداء الغرام » عربها عن روميو وجولييت لشكسبير . ورواية « الرجاء بعد الياس » ورواية « غصن البان » ورواية « الفرسان الثلاثة » وهي معربة عن الكسندر دوماس .

وانتبه بعد ذلك عديد من الكتاب والمؤلفين الى هذا الفن القصصي ، فراحوا يزودون المكتبة العربية بالمؤلفات والروايات بعدما لاقى هؤلاء القراء يقبلون على هذا الفن اقبالا رائعا . فوجدنا في مطلع عصرنا الحديث المنفلوطي ناقلا ومؤلفا العديد من الروايات التي ما يزال طلابنا يدرسونها في مدارسهم حتى الان . ونظرة واحدة لعصرنا اليوم تجد ان القصة والرواية تحتلان الصدارة في مكتبتنا العربية .

ويجيء دور القصة العربية الحديثة ، فنلمح بمنتهى الوضوح النضوج العظيم الذي بلغته قصتنا وروايتنا ، ويجدر بي ها هنا ان اشير الى ناحية مهمة جدا ، وهي اننا بدأنا نتذوق ونقرأ ، ونكتب حتى (القصة القصيرة) فمن اين اتت هذه القصة القصيرة ؟ في الواقع ايها السادة ان (القصة القصيرة) لم نعرفها على طول ما استعرضناه في موضوعنا هذا منذ بدء التاريخ الادبي العربي .

والحقيقة ان القصة القصيرة الحديثة ليست فنا ابتكرناه نحن من عندنا ، انما هو فن مستورد من الادب الغربي على اختلافه ، فالادب العربي كله تقريبا لا يكاد يعرف الى مطلع العصر الحديث (القصة القصيرة) .

والقصة القصيرة فن يكاد يكون نسيجا منفردا ، ويكفي ان نعتبر انها قصة مكثفة تشكل قطاعا كبيرا ، سواء منها ما كان نفسيا او سرديا او اجتماعيا او فكريا . حتى القصة القصيرة نفسها لم تقف عند حد معين من النضوج منذ بدء كتابتها في العربية الى يومنا هذا فقد كانت القصة القصيرة تعتمد اول ما اعتمدت على البداية والعقدة ثم النهاية . كل ذلك في اطار لا يخلو من الفنية السردية . فاصبحت القصة القصيرة الحديثة ليس من شروطها الاساسية ان تسير على اتجاه القصة القصيرة القديمة ،

ذكرى الشباب

رق جسمي وادرجت آمالي   فاطلب الروض يا انيس الخيال
ذاب جسمي ، والحب اضنى فؤادي   يا طيور السماء رقي لحالي
يا زمان الربيع بل يا ربيع العمر   هل اخبروك عن أحوالي
قد رأيت الورود تزهو شعاعا   وشعاعا جعلتها للكمال
فتّح الحب في جناني ولكن   لا ثمار ، فاثمري يا غوالي
يا جنان الرياض هلا ألاقي   في ظلال الادواح خلا مثالي
أنكرته العيون ثم استهلت   منه دمعا كالعارض الهطال
تنعش النجم (١) ثم تروي غليل التر   ب ماء الفؤاد ، دمع الهزال

كم سهرنا والبدر مرخ حبالا   فوق نور (٢) يشع مثل اللآلي
يبعث الآه في النسيم عليلا   كم عليل مقطع الاوصال
ينظر الماء جاريا في السواقي   فيخال المياه رسل الوصال
يسال الوحي والوجود سكوت   وسكوت الوجود خير مقال
آه يا وحي ، اين انت اجبني   هل تصرمت مع سني الخوالي
هل طوتك الافكار ؟ ثم استحال الفكر وهما ، والوهم صنو المحال
أم هو الحب شانه ان يناجي   من بقلبي ، تكلمي يا ليالي

هجعة رقدة ، سكوت عميق   لا كلام ولا مجيب سؤالي
أين أنسي ؟ وأين انت ؟ أجيبي   يا ربيع الحياة ، ورد التلال
هل اتينا ؟ والفصل فصل ورود   نجتليه باول الآجال
سنة الخلق في الوجود أليف   يتهادى خلاصة الاجيال
هكذا الفصل ، هكذا الورد يمضي   هكذا العمر ، فكري بالمآل
وتعالي نرود تلك الروابي   فربيع الحياة شبه الخيال

(١) النجم : ما نجم من الارض كالنبات (٢) النور : الزهر .

عيسى ميخائيل سابا

وانما يكفي ان تصور حادثة معينة في اطارها الجزئي ثم العام ...

وتفنن الغرب في القصة القصيرة اليوم ، فاصبحت لديهم نواة تدور حولها حوادث معينة او في غالب الاحيان تشكل انحرافا جديدا معاكسا للمفهوم ، فلا تكاد تصورا ولا توترا نفسيا معينا تظل فيه القصة ، في معالجة مستمرة حتى تبلغ النهاية وانت لا تكاد تحس بها ... فبدلا من انها – اي القصة القصيرة – كانت في الماضي تعطي حادثة ، اصبحت اليوم تعطي جوا ... ويكفينا اننا نعيش في هذا الجو زمنا قصيرا مستمتعين مأخوذين .

وانتقل الينا كل هذا عن طريق ثقافتنا لادب الغرب ، ويكفي ان نستعرض الان بضعة اسماء لاشهر كتاب القصة في وقتنا الحاضر لنعرف تأثير الادب والقصص الغربي في ثقافتهم . امثال : محمود تيمور ، توفيق الحكيم ، يوسف ادريس ، نجيب محفوظ ، محمد عبدالحليم عبدالله ، عبد السلام العجيلي ، مطاع الصفدي ، سهيل ادريس ، ميخائيل نعيمة ، جبرا ابراهيم جبرا ، وعيسى الناعوري .

ليس كل ما ذكرناه ايها السادة يوفي حق القصة منذ القديم حتى اليوم .. بل اضطررنا ان نتجاوز الكثير ونمر عبر العصور مرورا عابرا سريعا متناسين الشيء الكثير ايضا .. ولو اردنا ان نلم الماما حقيقيا بكل ما علينا معرفته ، لكلفنا ذلك وقتا وزمنا قد يتجاوز السنين البعيدة ، واذا ماوجدتم ان اهتمامنا اليوم الى القصة يشكل لدينا علما واسعا وكبيرا ، فذلك يعود الى اننا بالفعل نعيش القصة في كل فترة من فترات يومنا . ويكفي ان يعرف الانسان ان وجوده في العالم الكبير لم يكن الا قصة ... وقصة قصيرة حكتها عند بدء الخليقة حواء لآدم .. وكانا يتسليان ، وجاء هذا الانسان يحمل في برديه قصة الوجود عبر التاريخ الطويل الطويل !..

حمص   عدنان الداعوق

يهوذا

من ديوان « مزامير الضياع » المعد للطبع

محمود السيد

دمشـــق

•

كعيون البوم المشؤومه
عيناه ... ترصد خطوي
في ظهـري
في ظهري خنجره الازرق
لاكاد احس به يشهـق
حقــدا ... حقــدا
كقطيع ذئاب محمومــه
يتوائب خلفي ... يتبعني
والغيلة في دمه تعوي
تتلمض .. تلعق من وهني
تحدو الوغدا ،
الظل الاصفر من خلفي
يمتد ... وينمو على حتفي
ينمو حتى يسع الارضا
« اسرع يا ناب الموت ... اسرع
يا ظل يهوذا ... يا قبله
تغتال الحب ، الخصب ، الفيضا
تصلب فينا توق الكلمه
تمطر دنيانا بالعتمه
تتمخض صمتا
وكهوفا ، سلا ، وصليبا
سوطا همجيا ... تابوتا
سورا يدحر ركب الشمس
يمضغ لحمي حيا ، ميتا
ويخدر اعماق الحس
يذبح ايمانا ... وقلوبا
يذبـح رعشه
من منا لم يحمل نعشه ؟
يا ظل يهوذا ... يا قبله »

الظل الاصفر يتبعني
يمتص عروقي الورديه
يتقيأ قيحا في دربي
قيح الوجدان المتوفي
عن اخت بكر ما عفا
عن زاد عجوز مرميه
في بيت مهجور خرب
تصفعه الريح جنوبيه

يا ظلا يزرع في عمري
وخـز الشـوك
شره الشـك،
يعقل آفاقي بالفتر
ابعد مما ترنو فكري
اعمق من غليان الارض
ما يورق خصبا في سري
ما يزبد بحرا من فيضي
فالجم خطوا.. يحبو.. يحبو
كالطفل . جناحـي لا يلجـم
لا يؤسر في سجن ... مأتم
يضفـر للنجم حكاياتـي
حتـى يصبـو
ويبرعم امسي بالآتي
فتكركر ضحكـة اطفالـي
كينابيع الصخـر الاخـضر
تهزم دود الجـدب الاصفر
بغلال حبـلى بغـلال
تغزل اجمل ، اشهى مئزر
لبلادي ... لصبايا بلادي
تصنع من حزم الاصفاد
مركبة تقلع بالقمح
بدنان الخمر ... وبالبوح
لمـدى ابعـاد الابعـاد .

يا ظل يهوذا ... يا قبله
يا لاعق جـرح الانسان
لن تصلب في ذاتي شعله
تبهر ... تفضح رمز القتلـه
ومسيح بلادي ... لن يصلب
يحيا فينا ... بعروق عروق الاجيال
يمسح عنا الورم الاجـرب
يغمرنـا بمواسم اخصب
... بعـد الجـوع
بعـد الـروع
تخطر اعراس الريحان
عربات من خشب الرند
تشهق بالضوء وبالـورد
في موكب « عشتار » الارحب
تغدق انهار الزيت ... العسل
تسبح شمس بندى القبل
تورق واحات الآمـال
تئد القتله
وظلالا تزحف بالموت
بجراد يحصد ... بالصمت
تئـد العتمــه
وجيوش يهوذا اليوميه
ليطل صباح الحريــه
وتزقزق بالحـب الكلمه

بيتنـا القـديـم

بقلم الدكتور علي شلق

* * *

على مشارف وادي الشقفان ، وشماريخ اللقلوق ، مطلا على سيدة اهدن ، وقفوة بجدرفل ، كان يقوم بيتنا القديم في ذروة كفريا .

يمد ذراعيه ، رابضا واثقا ، بثلاث عينات ، بست قناطر . طوله لا يقل عن عشرين مترا ، والعرض لا يزيد على عشرة امتار .

هذا هو البيت الشتوي ، سقفه من الخشب والبلان والحوارة ، نحدله في الشتاء ، ونمد سطحه بطين جديد يدلك دلكا حيث يصلح لتشميس الغلة ، وسطح التين ، وفلش البرغل ، وللنوم احيانا .

في هذا البيت ولدت ، وفيه ربيت ، ولا ازال اذكر طراوته صيفا ، ودفئه شتاء ، والسهرات العامرة الحلوة حول الموقد ، حيث كنا ومعنا الجيران ، والسمار نتحلق على الجلود والطراريح ، لنمد ايدينا على النار ، ثم نفركها، ثم نتراجع قليلا من جراء لفحها ، او دخان عود لا تزال فيه رطوبة ، او على فرقعة سيكونات السنديان .

واذا اصبح الوقيد جمرا ، فما كان اطيب شي البلوط ، والذرة ، في الامسيات ، وانتظار الفتيتة او الكشك في الصبيحات .

كانت العائلة جميعها تنام شتاء في هذا البيت ، الذي كلست حيطانه ، ودلكت جيدا ، كما طينت ارضهودلكت جيدا . كنا ننام فيه ونحن نتجاوز العشرة اشخاص ، تتعاقد انفاسنا معا . تقع العين على كل منا . يتفقد الوالد ، والوالدة العشرة افلاذ بلمحة واحدة . لا يفصلنا جدار ، ولا يحد انفاسنا ضيق ، وكنا عندما نستفيق ، كثيرا ما يخطىء واحد منا بالتعرف الى حذائه ، لان الزاقوف مفروش بعشرين فردة حذاء مختلطة ، ما عدا القباقيب وسواها .

عندما كانت تشرقط النار ، نهب في فرشنا ونوحوح ، ويلتصق احدنا بالاخر طلبا للدفء .

واذا كان المطر شديدا ، موصول الزخ والهطل ، كان الطبخ يحصل امام اعيننا ، فتختلط رائحة الزيت والبصل فتقتحم خياشيمنا ، وكثيرا ما كنا نرثي للام والاخت وقد حرحرت عيناهما من لذع حرارة البصل ، مشوبة بدخان سواكين الموقد ، وهكذا كنا ناكل طبيخنا بانوفنا ، وعيوننا، قبل ان تلتهمه افواهنا ، كنا ناكل ثلاث مرات بمرة ، ورحم الله الحسن بن هانىء حيث يقول :

لي سكرتـان وللندمان واحدة   شيء خصصت بهمن دونهم وحدي

وعندما كان يحضر توفيق محسن واحمد سلمان ، وناصيف الخوري للسهرة ، كانت صحون الزبيب والتين الناشف واللوز الفركي تطفح ، ويطفح معها التقريق على لفظ توفيق محسن للفرنساوي . كان يريد تعلم الفرنجي، وكنت مبتدئا آنذاك ، فكان يلفظ الكلمات بصورة مضحكة، عدا عن ان لفظي انا ايام ذاك كان مضحكا ، وكان تقريق احمد سلمان على لفظ توفيق وزعاويط ناصيف الخوري، كذلك غاية في الاضحاك .

احيانا كانت مكافحة البرد لا تجدي ، كان التنارنة ، الذين يشتون في امرحتنا يلجاون الى مواقدنا ، وكان دخولهم تحت المطر ، والبرد ، والوحوحة من الصقيع يشكل جوا خاصا من وحي الشتاء في قريتنا .

« مسو بالخير ، مسيكم بالخير ، الله معكم ، الله يمسيكم بالخير » هذه التحيات وسواها كانت تتوالى وكانها معزوفة خاصة تتردد كل مساء قارس البرد ، في بيتنا القديم . حتى الدلف نفسه ، كان مالوفا لدينا ننتظره ونكافحه بمحبة وشوق الى نقراته ، واذا شمست «الدنيا» كنت اسابق اخواتي لحدل السطوح ، ففي دركبة المحدلة لذة ، وفي دقدقة فساويخ الحوارة سلوى ، وعبث .

كان الى جانب بيتنا القديم «اوضة» اربعة باربعة ، خصصت للضيوف ، وكان ابي يقول لي « ان هذا البيت كان منزل حكام المنطقة ، اصدقائنا من مشايخ بيت صعب . وكانت الاوضة هذه منزل الحاكم ، وكانت جدرانها مكلسة بعناية ، وفرشها منسق . وقبالتها كانت تقوم المصطبة ، وهي منفتحة بانطلاق للجهة الشرقية ، كانت مربعنا ، حيث تنقل العائلة فرشها الى المصطبة ، وننام جميعا في ذلك البرزخ ، استعدادا للصيف .

وهكذا كانت الفصول عندنا مقسمة ، واضحة المعالم دون انقطاع ، وقلما تجد بلدا من بلاد الدنيا ، فصوله متناغمة ، متميزة الشخصية كلبنان . وما كان احلى التمرغ على اكداس « الاصيل » وهو حصيد الشعير عندما يكون طريا لنقدمه غذاء جيدا للبقر . وما كان اطرى واعذب تلك الجرة البغالية التي تقوم في مقعدها المبطن بالبلان على مدخل البيت ، والاباريق مصفوفة حولها بخشوع ، وانتظار .

اما السوق الى جانب بيتنا فقد كان للحمير والدجاج وبعض البقر ، وكان لنا اكثر من سوق واحد ، نربط فيه مواشينا ، وكان مشوقا لي ان الم بيض الدجاج من المعلف، من فوق القصرينة او التبن ، فالبيض من اشهى مطعومات الاطفال .

وعندما ياتي الصيف ، كانت العائلة تنتقل الى المربع. والمربع بناء من الحجر المنحوت ، محدد الشبابيك ، منجوره فخم ، بينما كانت النوافذ القليلة للبيت الشتوي تسد بالبلان منعا للمطر ان ينفذ الى الداخل . وكانت ارض المربع بربقة ، اي حصى دقيقا مجبولا مع الكلس

والجفصين ، والبربقة كانت شائعة في لبنان قبل السمنتو والبلاط ، وكان سقف المربع كريشا ، والواحا من اجود القطراني، لا يدلف، وهو عال ولكن سطحه ايضا كان من الحوارة ، فهو يحدل كذلك في الشتاء ، ولا انسى الخزانة المثبتة في الجدار القبلي ، حيث كانت متخمة بالقضامي ، والجوز ، والسفرجل والزبيب واطايب النقل .

كان المربع مصطافا لنا ، وكنا لا نكتفي به بل نقيم خيمة من غصون الغار والقصب الرفيع والطخين .

لم يكن في كفريا غير مربعين اثنين ، يسميهما القرويون عليتين ، وكان المربع المكان الوحيد الصالح لاستقبال الضيوف الكبار ، وربما صلى ابناء القرية فيه عيدهم قبل بناء الجامع .

عندما عدت من مصر ، وجدت والدي قد اضاف جناحا جديدا الى المربع القائم على دعيمة ، وسقوف غرفه الجديدة من الاسمنت والحديد . لكنني عندما عدت من فرنسا بعد ذلك بعشر سنوات هدمت البيت القديم وهدمت معه المربع ، وبنيت بيتا حديثا حسب خارطة المهندس الصديق انطون خزامي ، فاعطتنا احجار المربع مجالا لبناء ما لا يقل عن سبع غرف بالحجر المنحوت ، فكم كان ذلك المربع حصينا ، طويلا عريضا ؟ لقيت من والدي عنتا وحرجا عند هدم البيت الشتوي ، واقتلاع السنديانة القديمة التي امام المربع ، فهي كما يقول من عمره ، ورفيقة ايامه . لكنني اغريته بالجديد ، واعددت له جناحا خاصا حديثا في البيت الحديث ، ولكن ذلك ما كان لينسيه ذكريات الشباب ، والطفولة ، في بيتنا الشتوي القديم .

اصبح اليوم مكان الاوضة ، والسوق ، والمصطبة ، والمنزل الشتوي بستان ، وكاني بترابه ، وحيطانه ، وبالصور التي تطفو امام النظر في افقه ، وبين غصون اللوزة العتيقة في زاويته ، تشير جميعها الى مركز العائلة، وسهرات الشتاء ، وتعرض امام نظري انا الذي عايشت فصوله ، وجوها وجوها من السامرين ، والغادين والرائحين اليه .

وكاني به يقول للدفءالذي ننشد في الدفايات الكهربائية الحديثة ، وللمبات الكهرباء والثريات في منازلنا الجديدة، وللطراوات التي تمنحها الفرندات ، يقول لها فيك شيء جديد ، ولكنه ليس أنيسا لانه لا سحر فيه ولا خيال .

بعد عشرة اعوام ندمت لهدم بيتنا الشتوي ، لانني بذلك هدمت تاريخا ، وقضيت على صورة من صور لبنان الهانىء الدافىء ، لبنان البسيط القانع ، لبنان السعيد المراح .

ففي بيتنا الجديد وجاق للغاز ، ومطحنة لصنع الكبة النية ، والماء يزرزب من الحيطان ، والبيت يستنير بمجرد كبسة الاصبع على زر ، وارض الغرف بلاط ، وجوار المنزل واطاره سور ، وبوابة حديد وصنوبرات يزين المدخل ، وزهور ، وخضرة ، ومطلات . لكن بيتنا لم يعد فيه موقد للحطب والسيكون ، ولا جرن للكبة ، ولا جرة بغالية تسخو بالماء المنعش الطري ، وتبقبق عندما ندفق منها بالماء ، بل اصبح البراد يصنع لنا الطراوة ، وماء البراد لا يبقبق . وخلا قنديل الزيت المبارك باطيافه ، واحلامه ، وشاعريته من زوايا بيوتنا، ولم تعد زنود الاخوات والامهات تدلك المصاطب بالمدلكات ، ولم تعد رائحة الارض تملأ خياشيمنا بالتمرغ على اصيل الشعير ، وقش البيدر ، ولم يعد في الامكان ان يهش لنا باب الخشب العتيق ، المصبوغ بدخان الموقد، المحتفظ بلهاث السكان ، والطبيخ، وعبق البيت من الداخل ، فيشعرنا ان هنا منفتحا للانس، للحماية للاستقرار ، هنا بيت فيه زيت ، وغلال ، وخبز ، وبرغل ، وخل ، وزبيب ، ولوز . فيه بساطة ، وسماح ، وغناء ورقص ، وتسابيح .

فيه عالم العائلة الكامل ، يتسع لعشرات السكان ، وليست فيه غرف ، غرف تمنع تعانق الانفاس ، وقبلات العيون ، وتؤكد القربى والصلات ، ليست فيه غرف لها جدران تمنع ، وتفرق ، وتوحش .

كان بيتنا القديم بيتا .

كنا فيه فرعا من العائلة البشرية ، كنا الدنيا ، واليوم نحن منتسبون الى البشر بالمدنية الحديثة انتسابا . نطمئن ولكن على غربة ووحشة . نستقر ولكن على قلق وطموح . ونحن نستشرف والحنين وحده هو الذي يربطنا بماضينا الحلو ، ويلطف من قساوة الغربة في حياة لم تعد بسيطة لطيفة كما كانت .

والحنين وحده يقندل بيوتنا بالزيت ، ويمنح جفاف الكهرباء نداوة الشعر ، وبالحنين بقي لنا في هياكل نفوسنا ورحاب بيوتنا ، خشوع صلاة .

علي شلق

فيساريون بلنسكي الناقد الموجه

بقلم نقولا بوغولوفسكي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

***



ان حياة بلنسكي القصيرة المثمرة ، تركت اثرا لا يمحى لا في تاريخ الادب الروسي حسب بل في الفكر الفلسفي والاجتماعي ايضا ، وكيف لا يكون الامر كذلك وبلنسكي هو منشىء النقد الادبي الروسي . كان بلنسكي تلميذا صغيرا (ولد في ١٨١١ ، وهو ابن طبيب بحري) حين بدا يهتم اهتماما عميقا في الادب والمسرح وقد اظهر قدرة غير اعتيادية في هذا الشأن . وفي باكورة شبابه حاول ان يكتب شعرا وقصصا ايضا ، ولكن مواهبه لم تزدهر في هذه الحقول ، اذ سرعان ما ادرك ذلك . ومع ضعفه في الموهبة الشاعرية ، فقد كان شديد الحساسية بالقيم الجمالية ، وذا ذوق لا يخطىء وقابلية على التغلغل الى قلب الادب الخيالي .

ولم يكن لذهنه المنقب الثاقب ما يحمله على الصبر على طريقة الحفظ عن ظهر القلب كما كانت متبعة في مدارس ذلك الزمن . وبغير ان ينتظر انتهاء دراسته الاولى ، ذهب الى موسكو سنة ١٨٢٩ وهناك اجتاز امتحان القبول لفرع الدراسات اللغوية في الجامعة .

كان ذلك بعد انتفاضة الديسمبريين (١٨٢٥) (١) بمدة ليست جد طويلة ، وكانت الحكومة حذرة وبخاصة ازاء الطلبة والاشخاص الذين يريدون الدخول في خدمتها . فطلب من المقبولين في الجامعة ان يوقعوا على ما يدعى « قسم الولاء » وهو اعتراف بانهم « غير منتمين الى محفل ماسوني او اي جمعية سرية اخرى ، سواء في داخل الامبراطورية أم في خارجها ، وان يتعهدوا بعدم الانضمام الى اي نوع من مثل هذه الجمعيات او العمل معها . »

وقد كتب هرزن عن هذه الفترة من التاريخ الروسي قائلا : « لم تكن هناك جمعيات سرية . واعظم ما كان منتشرا هو التفاهم السري بين الناشئة . والحلقات التي كانت تضم الناس الذين جربوا يد الحكومة الثقيلة ، عملت بما وسعها من عناية على محافظة اعضائها . ولما كانت كل فعالية عدا فعالية الكلمة المقنعة ، غير محتملة الظهور ، فان الكلمة نالت شأوا كبيرا من القوة ، ليست الكلمة المكتوبة حسب ، بل الى درجة عظيمة الكلمة المهموسة التي غدت صعبة الاقتفاء حتى على البوليس . »

لم يكمل بلنسكي تعليمه العالي قط . فقد طرد من الجامعة نظرا لمرضه الذي حال بينه وبين الامتحان في الوقت المناسب . كانت هذه مجرد حجة ، اما السبب الحقيقي لطرده فهو وقوع مسرحيته « ديمتري كالينين » في ايدي سلطات الجامعة التي عدتها « منافية للاخلاق ومسيئة الى شرف الجامعة » . وكل ما في الامر انها عبرت تعبيرا عاطفيا عن احتجاجها على النظام الاقطاعي الاوتوقراطي السائد في روسيا .

ثم جاءت فترة من الفاقة المدقعة اصابت الشاب بلنسكي ، تلك الفترة التي اضطر — في غضونها — ان يعيش على دروس خصوصية قليلة ، واعمال ادبية تافهة، وبعض الترجمات من حين الى حين . ولكنه اتصل في هذا الوقت بنقولاي ستانكيفج الذي تراس حلقة فلسفية ادبية ، انضم اليها اكثر طلاب جامعة موسكو تقدمية وقد كان لهذه المنظمة اقوى التأثير في تطور بلنسكي العقلي . وفي الوقت ذاته تشكلت حلقة ثانية بقيادة كل من الكسندر هرزن ونقولاي اوغاريف . يكتب هرزن عن هاتين الحلقتين والعلاقة بينهما قائلا : « كنا نؤيد جميعا الديسمبريين والثورة الفرنسية ، ثم السانسيمونية (٢) والثورة نفسها ... واعظم ما كنا نعلمه هو مقت كل نوع من انواع العنف ، وكل شكل من اشكال الجور الحكومي .. كان التجاوب الوجداني ضئيل الشأن بيننا وبين حلقة ستانكيفج ، اذ انهم كانوا يمقتون اتجاهنا السياسي المحض ، كما كنا نكره موقفهم التأملي المحض . لقد عدونا متمردين ذوي عقلية فرنسية ، اما نحن فقد حسبناهم عاطفيين ذوي عقلية المانية . »

وهذا الاختلاف بين وجهتي النظر بين ممثلي الاتجاهين الرئيسين لم يدم طويلا في تاريخ الفكر الاجتماعي الروسي. فقد قدر لـ « فلسفة » و « السياسة » ان يندمجا في وحدة غنية سارت بالفكر الاجتماعي قدما الى امام . وبعد ان كان هرزن وبلنسكي على طرفي نقيض ، ادركا وحدة قضيتيهما المشتركة ، واصبحا صديقين حميمين بعد ما كان بينهما من نزاع عقائدي .

ما كاد بلنسكي يبلغ الثالثة والعشرين من عمره ، حتى نشر اول مقالة رئيسية له بعنوان « هواجس ادبية » — ١٨٣٤ — فتح بها عهدا جديدا في النقد الادبي الروسي. وفي تلك المقالة استعرض تطور الادب الروسي من زمن بطرس الاول الى عهده ، وفيها حلل اعمال معاصريه الادبية واوجز آفاق التطور اللاحق ، عارضا فيها فكرته الذاهبة الى ان على الكاتب ان يعبر عن « روح الشعب الذي ولد

(١) بالنسبة لشهر ديسمبر (كانون الاول) هي انتفاضة تام بها سنة ١٨٢٥ بعض الشباب مطالبين بالحقوق الدمقراطية ، المترجم .

(٢) بالنسبة الى سان سيمون المفكر الفرنسي الطوبائي ، وقد كان لارائه شان يذكر في اواسط القرن التاسع عشر . المترجم .

بين احضانه ... وحياته الباطنية الى اعمق الينابيع والعروق النابضة . »

لقد احدثت مقالة الناقد الشاب هزة في العالم الادبي فتأثر القراء بجدة تفكيره واستقلاله وقوة معتقداته وجراة احكامه وصراحتها . وقد تم تعزيز نجاح المحاولة الاولى وتدعيمها ، بكتاباته اللاحقة . واليه يعود الفضل باعتباره اول ناقد روسي فسر تفسيرا عميقا اعمال بوشكين الادبية ، تفسيرا تضمن في احدى عشرة مقالة متسلسلة نشرت بعد موت الشاعر المشهور بمدة وجيزة ، وهذه الدراسة الشاملة ، هي ــ كما يعترف بها ــ اعظم اعمال بلنسكي . خصص بلنسكي وقتا طويلا لاعداد هذه السلسلة . ومع ان فكرتها خامرته في وقت مبكر ، فهو لم يشرع في كتابتها الا في سنة ١٨٤٣ . كتب سنة ١٨٤٠ قائلا : « ان بوشكين يقودني الى الجنون . ما اعظم عبقريته ! ما اروع طبيعته الشاعرية ! انني واقع تحت تأثير سحره!» ثم يقول بعدئذ: «بوشكين هو روسيا وهو الشاعر الوطني الوحيد الممثل للشعب الروسي بأسره . » وفي مكان اخر يقول : « انه كان التعبير الكامل للحياة الروسية . »

جمع بلنسكي ، في مقالاته عن بوشكين ، بين المعالجة التأريخية والتحليل الادبي الممتاز ، مقتفيا تطور الشاعر خطوة فخطوة ، عارضا الرابطة الحية التي تشد شعر بوشكين بعمل سلفه وخلفه . يقول بهذا الشأن : « كلما امعنا الفكر في نتاج بوشكين ازداد اعتقادنا عمقا بأن ما نكتبه عنه انما يتناول الادب الروسي بأسره . »

واذا وضعنا الفكرة نفسها بأسلوب اخر ، صح اعتبار بوشكين بحرا يتسلم كل البحار والجداول . يقول بلنسكي في هذا الشأن : « لم يؤثر تأثيره المثمر القوي شاعر من قبل ، فهو الذي طرح جانبا الكلاسيكية الفرنسية المزيفة في روسيا ، وهو الذي وسع مصادر شعرنا وجعله يواجه العناصر الوطنية في الحياة ، في اشكال جديدة لا حصر لها ، وهو الذي ربط الشعر بالحياة الروسية والحاضر الروسي واغناه بالافكار . » وبالايجاز قدم بلنسكي دراسة وافية لكل مظهر من عهد بوشكين في الادب الروسي .

اما قدرة بلنسكي البارزة للتعرف على المواهب حتى في الجهود الادبية المتعثرة لدى الناشئين ، فقد كانت جلية الوضوح في مقالاته عن ليرمونتوف . كان الاخير شاعرا مغمورا حين اعلن بلنسكي ان نجما جديدا ساطعا ظهر في افق الشعر الروسي . وذهب الى القول : « انه قد خطا اولى خطواته ، ولكن ما اعظم انجازه وما اغنى معطياته . اننا نتوقع منه كل شيء في المستقبل . ومع ذلك فنحن لا ندعوه « بيرون » او غوته او بوشكين ، ولا نقول : انه سيتطور حتى يصبح « بيرون » او غوته أو بوشكين مع الزمن . انه لن يكون احد هؤلاء ، بل سيكون ليرمونتوف هو نفسه . قد نكون مغالين في ثنائنا بالقياس الى الجمهور ، ولكن هذه ليست المرة الاولى التي اخذنا فيها على عاتقنا المهمة غير المشكورة : مهمة الصراحة والتوكيد على قضية لا يؤمن بها احد اول وهلة ، ثم سرعان ما يتبادر الناس الى تصديقها .. » اننا لا نجد في مقالات بلنسكي عن بوشكين وليرمونتوف امثلة عميقة التفكير حسب بل كتابة حية تمتاز بالروح العاطفية الغنائية المنبعثة من ادراك الشعر والحدب عليه .

ومما له مكانته الخاصة في كتابات بلنسكي مقالاته عن غوغول الذي يعتقد«انه ملأ الفراغ الذي تركه بوشكين.» اما السمات المميزة لاعمال غوغول فهي البساطة والطابع الوطني الظاهر والواقعية . وقد عد بلنسكي نفسه بين ابناء الجيل الذين نضجوا « تحت تأثير شعر غوغول . » كتب الى مؤلف (النفوس الميتة) سنة ١٨٤٢ قائلا : «انك الوحيد الذي بقيت لنا ، وان وجودي الاخلاقي وحبي للادب الخلاق متعلقان بك كل التعلق ، واذا لم تكن انت موجودا لانعدم حاضر حياة بلدي الادبية ومستقبله . »

وجد بلنسكي في اعمال غوغول تأييدا ودعما لنظراته الاسطيقية (الجمالية) . اذ ان غوغول شأنه شأن بوشكين ، كان ناقدا وكاتبا خياليا في الوقت نفسه . وغالبا ما احتذى تفكيره النظري حذو تفكير بلنسكي .

اعلن بلنسكي ان غوغول هو راس اتجاه جديد في الادب الروسي ، اتجاه عرف فيما بعد ب « المدرسة الطبيعية » لانها تعكس « الحياة الاعتيادية » . دافع غوغول من باكورة عمله الادبي عن فكرة تصوير « الحياة الاعتيادية » . وقال بهذا الصدد : « كلما كان الشيء اعتياديا ، اشتدت حاجة الشاعر الى الموهبة لاستخلاص شيء غير اعتيادي منه . » وهذه الفكرة وجدت لها تطورا وتأييدا نظريا في كتابات بلنسكي واصبحت من اركان الاسطيقا الواقعية .

وفي مقالة « القصص الروسي وقصص غوغول » يتحدث بلنسكي عن الفكرة نفسها فيقول : « كلما كان موضوع القصة اعتياديا ، اقتضى الامر من المؤلف موهبة اشمل . » وفي كلمات « تصوير الحياة الاعتيادية » وجدت البذرة التي انبعثت منها الى الحياة كل كتابات غوغول . ولما كان مبدأ المدرسة الطبيعية يتنافى وموقف النقاد الرجعيين ، نرى تكالبهم الوحشي في الهجوم على غوغول وفي الاستقبال العدواني الذي واجهوا به مقالات بلنسكي ، ولكل من الامرين دلالته الاجتماعية العميقة . اذ ان كتابات غوغول ولا سيما « المفتش العام » و « النفوس الميتة » اصبحت على يدي بلنسكي اسلحة في النضال ضد القنانة والاوتوقراطية .

ولما خان غوغول في اواخر حياته مبادئه نفسها بنشره كتابه الرجعي « فقرات منتخبة من مراسلة الاصدقاء » كتب بلنسكي رسالة غاضبة اليه ، وفيها نقده نقدا عنيفا صريحا لخنوعه للسلطة وغير ذلك من الفضائل الذليلة والحّ عليه بنبذ ذلك الكتاب والتكفير عن نفسه من طريق

« ابداع كتب جديدة تعويضا عن تلك الخطيئة . »

وقد احدثت مدرسة الادب الطبيعية تأثيرا قويا في الاربعينيات والخمسينيات « وهنا لا بد ان نذكر » قصة « من تلوم » لهرزن والقسم الاول من « حكايات رياضي » لتورجنيف و « قصة اعتيادية » لغونتشاروف فهي جميعا حصيلة تطورات الافكار التي فسرها بلنسكي ، وقد رحب الاخير بظهور كل من هؤلاء الكتاب على المسرح الادبي . كما ان الناقد ايد تأييدا قويا كثيرا من الكتاب الآخرين ومنهم دوستويفسكي الذي وجد في كتابه الاول «اناس فقراء» موهبة قدر لها العظمة والعلاء .

اعترف تورجنيف بتأثير بلنسكي القوي فيه واقر بان بلنسكي هو الذي شفاه من اعجابه الصبياني ببلاغة بنيديكتوف الزاهية . ولما قرا اول مرة مقالة بلنسكي عن الشاعر انتابه غضب شديد على الناقد ، ولما استمر في القراءة وفكر فيما قرا وجد نفسه متفقا مع حجج بلنسكي . على الرغم من دهشه وتأثره ، يقول تورجنيف بهذا الصدد : « دهشت برد الفعل غير المتوقع هذا ، وجربت خنقه بكل قوة ، وبين اصدقائي تكلمت على بلنسكي باعنف لغة . ولكن صوتا في دخيلة نفسي استمر يهمس « انه كان على حق » ... وبعد مرور مدة قصيرة تركت قراءة بنيديكتوف ... »

« ومما يجدر ذكره » وصف تورجنيف لمقابلته الاولى مع بلنسكي حيث يقول : « رأيت رجلا اقرب الى القصر ، مستدير الكتفين ، بملامح متقطعة مؤثرة . شعره الجميل متدل على جبهته ، ووجهه يعبر عن قسوة وقلق تراهما عادة في الناس الوحيدين الخجولين . تكلم بلنسكي – اول الامر – بسرعة وبغير حيوية ، ودون لمحة ابتسامة ... ثم اشتدت حميته فرفع عينيه وتغير وجهه ... وما كان ابلغه حين كان يشعر بشيء شعورا عميقا ... »

تتبع بلنسكي تطور موهبة تورجنيف عن كثب . ولما ظهرت قصة « خور وكالينيتش » القسم الاول من « الرياضي » في مجلة « سوفرمينيك » سنة ١٨٤٧ ، كتب بلنسكي الى المؤلف قائلا : « انا متأكد بأنك نفسك لم تدرك ما فعلته في « خوروكالينيتش » واعتمادا على صنيعك في « خور » ستمضي قدما الى امام ، فهذه هي حلبتك الحقيقية . »

ومما اتضح بجلاء ان تورجنيف وجد مجاله الحقيقي بهذه القصة . كان هذا اكثر من نجاح شخصي له ، فهو نصر ايضا لمدرسة غوغول التي عمل بلنسكي جهده لاكمال وحدتها ، وهو فوز للادباء الواقعيين ، ولمبادئهم التي نظمها بلنسكي . انه هو الذي الح على الكتاب لتوسيع مجالات ملاحظاتهم ، والشعور بمشاعر المضطهدين ، وكشف طبيعة العلاقات الاقطاعية البشعة وعبوديتها الزنيمة ، لانها قوة آسنة تعرقل تقدم البلد .

وفي حالة نيكراسوف الكاتب ، قامت صداقة بلنسكي بدور مهم . اذ حالما انضم نيكراسوف الى حلقة بلنسكي اصبح اتصاله وثيقا بالفكر الاجتماعي المتقدم في زمانه . وهناك سمع المناقشات الحادة واسهم فيها ، المناقشات التي كانت تدور حول المشاكل الفلسفية والاجتماعية والسياسية اللاهبة وحول رسالة الادب ، وواجب الكاتب ازاء شعبه .

لقد راى بلنسكي بذور موهبة اصيلة في اعمال نيكراسوف المبكرة ، ففتح عيون الشاعر على قابلياته الحقيقية ، وبيّن له القضية المقدسة التي ينبغي العمل من أجلها . وبعد ذلك بسنين تحدث الشاعر عن صداقة بلنسكي وعما عنت له .

كانت فعاليات بلنسكي متعددة متنوعة . وكان تشيرنيشفسكي على حق حين قال عنه : انه لم يكن ناقدا لامعا حسب ، بل معلما لامعا واحسن مؤرخ ادبي في روسيا . ولم يقتصر اهتمام بلنسكي على الادب الروسي فقط ، بل وجد قراؤه في مقالاته تحليلات رائعة للاعمال الادبية العالمية ، كتلك التي تناولت شكسبير وشللر ومولير وسرفانتس وولتر سكوت وفنيمور كووبر وغوته وبيرون واخرين كثيرين .

يقول هرزن في كتابه « افكار عن الماضي » : « انني اعد بلنسكي احدا من ابرز الشخصيات في عهد نقولا .. ففي سلسلة من المقالات النقدية ناقش كل شيء بحذر وبغير حذر ، وفي كل مكان كان امينا لمقته السلطة ، حتى كان يبلغ احيانا حد الالهام الشاعري ... من لا يتذكر مقالاته عن قصة « باراشا » لتورجنيف وعن دير شافين وموتشالوف كأنه هاملت ؟ فما اعظم امانته لمبادئه ! وما اروع شجاعته ! وما ادق مراوغته للرقابة ! وما اشد جراته التي ابداها في هجماته على ارستقراطية الادب .. أن الرجل الخجول ، ذلك الجسم النحيف حمل روحا عظيمة ، روح مصارع ، اجل كان محاربا قويا .

« لقد كان شباب بطرسبرغ وموسكو ينتظرون بفارغ الصبر مقالات بلنسكي من اليوم الخامس والعشرين من كل شهر (الى نهايته) فتراهم ينحدرون الى المقهى ست مرات متسائلين عما اذا كانت مجلة «اوتيجيستفيتي زابسكي» قد وصلت ، وحالما يصل المجلد الثقيل يتلاقفونه من يد الى يد ويسالون « هل من مقالة لبلنسكي ؟ » واذا ما وجدت المقالة تناولوها باهتمام شديد ، بين الضحك والمناوشات ... »

وفي سنة ١٨٤٦ ترك بلنسكي التحرير في «اوتيجيستفيني زابسكي» للعمل في « سوفريمينيك » مجلة نيكراسوف ، وهناك نشر دراساته المشهورة للادب الروسي من سنة ١٨٤٦ الى ١٨٤٧ . ولكن القدر لم يسمح له بقيادة تلك المجلة طويلا اذ توفي بالسل في ماس ١٨٤٨ . اما تشيرنيشيفسكي ، الذي واصل عمله ، والذي اعجب ببلنسكي لحبه العظيم لبلده وحميته

موت فنان

***

يا شقاء المساء ، قد جف نبع الآه   مات القيثار .. ولّى نشيده
كان من قبل يملأ الريح شدوا   والفيافي .. فأين ضاع قصيده
فجاة .. خيم الفناء .. رهيبا   وانطفا اللحن ، مات منه خلوده
من يعيد النشيد للدفقة الاولى   يهز الفنان .. يا من يعيده

كان قبلا في مسمع الخلد وعدا   رائعا ، ما وعاه يوما زمان
يصمت الصخب، يفتح الصحو عينيه   عليه ، ويستزيد المكان
الاماسي تعيه .. تذكر مسراه   خفيفا .. تضمه الاذان
فجأة مات .. فالوجود مراثي   دامعات . .حفت بها الاحزان

هذه صفحة المساء شحوب   والمدى راعف الجبين كئيب
والنجوم الصغار في الافق المطعون   تبكي ، يهزها التعذيب
والسكون الحزين في حلبة الظلمة   يرتج .. تعتريه الكروب
مات فنانه .. ولم يبق الا   صرخة البوم.. والصدى والنعيب

يا شقاء المساء .. ما أظلم الليل   اذا مات شاعر في المساء
تزحف الجن والزوابع والخوف   لتغتال رافع الاضواء
فاذا الصمت رجفة وكهوف الليل   مهد الجريمة النكراء
وبقايا قيثارة .. اين منها   وتر .. اطرب الدنا بالغناء

يا ذرى رددت غناه وكانت   نعم من يحتويه لما يغني
انت اصبحت كاليتيمة تبكيه   تهيل عليه انهار حزن
لا تجني ان خيم الصمت في   اذنيك ، من بعد صوته لا تجني !
في كتاب الخلود نهر اغانيه   الفوالي .. يصب بحر فن

اربد ـ الاردن   احمد حسن ابو عرقوب

الثورية ، فقد كتب في رسالة بأن الموت انقذ بلنسكي من الاعتقال والابعاد .

وكذلك يعلق تشيرنيشيفسكي على طبيعة بلنسكي الحيية بانه كان خجولا ، ولكن المسألة اذا ما تعلقت بمعتقداته اصبح عدوا قويا ، وفي هذه اللحظات كان « يتكلم بأسلوب ناري ككتابته ، ولم يكن لاحد قوة على اسكاته . » بدا بلنسكي « حياته الادبية » مثاليا وانتهى الى موقف واقعي . وهذا التطور من الموقف الاول الى الثاني تضمن في عملية بطيئة ، الا انه كان نتيجة منطقية لهضمه الابداعي للثقافتين التقدمية الروسية والاوربية الغربية معا .

اربيل ـ العراق   يوسف عبد المسيح ثروة

أطفأت سيجارتي ، وفرغت من احتساء قهوتي ، واغلقت كتابي .. ورحت أتأمل ما حولي من صور ألفتها والفتني ، منذ ان اعتدت الجلوس في حديقة هذه القهوة ..

فها هي شجرات « البسيانس » الثلاث في مكانها القديم ، عالية متشابكة الغصون ، تسكنها مئات العصافير المزقزقة طول النهار .. وها هي « تكعيبة » العنب تزخر في هذا الوقت الصائف بالورق والعناقيد .. وهذه هي الكراسي المستهلكة مبعثرة في كل ناحية .. و « الترابيزات » التي يتحلقها معظم النهار وشطرا من الليل ، لاعبو « الطاولة » و « الدومينه » .. وبين ارجل الكراسي والمناضد ، تسرح قطط القهوة وتمرح — قطط أليفة مختلفة الاشكال والاحجام والاعمار .. عاش اجدادها هنا منذ سنين في امان وسلام ، فتوالدت وطاب لها المقام ..

ثم رايته — مقبلا نحو « زبون » مطرق ناعس — « شحاته » — الجرسون العجوز ، الذي عاصر — كما يقول — عهود هذا المقهى منذ نشأته .. جاء حاملا صينية عليها كوب ماء ، ملقيا نظرة عابرة الى « بندق » ماسح الاحذية ، وقد تقرفص على الارض ، مسندا ظهره الى شجرة ليستريح من اللف والدوران ..

كان هناك هدوء وقتي شمل المكان ، لخلوه في ساعة العصر الباكرة هذه ، من اللاعبين الصاخبين ، ومن الباعة المتجولين .. فتركت العنان للافكار والاحلام — سخيفها وجدها — تقفز وتسرح في الراس ، كما تفعل هذه القطط في ساحة القهوة ..

ولكن شيئا اعادني سريعا الى الارض .. لقد دلفت الى الحديقة ، هذه المراة نفسها — او قل هذا الشبح الغامض .. ولطالما رايتها تتسلل الى هنا كقطة عجوز ، تتسكع في مشيتها ، حائرة حذرة ، ثم ترتمي على مقعد ، وتستند الى خوان ، لا تغيرهما ابدا ! ..

ولطالما ايضا استرعى نظري ترددها على هذه القهوة . فقلما تطرق النساء هذا المكان ، العامر دائما بأصناف الرجال .. واخالها اجنبية الجنس — ولكنها كانت غريبة الشكل ، فهي قصيرة القامة ، محنية الظهر ، خشنة الملامح .. في وجهها تجاعيد الشيخوخة ، وشعرها تتهدل منه خصل بيضاء .. وبالجملة كانت طلل امراة — انقاض شباب غض عصفت به يد الزمن !

وملابسها تزيد شكلها غرابة .. فعلى راسها منديل اسود ، يخفي معظم شعرها .. وتحت « جاكتة »



قديمة رمادية اللون ، تحتها جلباب قصير اسود ، يكشف عن جورب رمادي طويل ، وحذاء من المطاط بني عتيق .. ومن يمينها تتدلى حقيبة من قماش ابيض مخطط ، لها مقبض اخضر اللون ! ..

لم يكن لجلوسها في هذه القهوة ، اي سبب مفهوم ، والمكان — كما قلنا — يكاد يكون مقصورا على الرجال وحدهم .. وهي لا تجالس احدا ، ولا تكلم انسانا .. صامتة ، مشغولة بنفسها ، وبالقطط احيانا . فلعلها تجيء لهذا الغرض — اي من اجل القطط — وليس في هذا عجب .. فكثيرا ما نصادف نساء وقورات ، يقفن في زوايا الطرق ، لتوزيع الخبز والسمك ، على قطط الشوارع الضالة ، وهي تعرف موعد حضورهن ، فتتجمع هناك منتظرة .. وها هي قطط القهوة تأنس الى صاحبتنا هذه ، وتتمسح بها ، ويصعد بعضها الى خوانها فلا ترده ، وتجلس احداها على حجرها فتتركها في سلام ..



ومع ذلك ، فقد شعرت بفضول غريب يدفع بي الى استطلاع امر هذه المراة .. اننا كثيرا ما نحشر انوفنا فيما لا يعنينا .. يغرينا كل مستور ، ولا نهدأ حتى نكشف عن المجهول !..

وقد رايت « العم شحاته » يدخل الى حديقة القهوة كعادته ، ويقع بصره على هذه السيدة وهي تطوف ثم تجلس .. ولكنه لم يلق اليها بالا ، ولم يعرها اي اهتمام .. ويبدو انه اعتاد رؤيتها هناك ، وانه يعرفها من زمن ..

وما لبثت المراة ان قامت في تثاقل وانصرفت .. وجاءني شحاته بكوب من الماء ، وتبادلنا بضع كلمات .. ثم اشرت الى حيث كانت تجلس صاحبتنا منذ برهة ، وسألته :

« — وايه حكاية الست دي اللي بتيجي هنا ؟ .. »

واجاب شحاته في هدوء : « دي مجنونة .. غلبانة ! .. لها حكاية قديمة حضرتها من اولها .. »

قلت : « حكاية ايه ؟ .. »

وراح شحاته يقول ما معناه :

« كانت جميلة في شبابها .. اذكرها جيدا .. وكانت كلما مرت بالقهوة ، لفتت انظار الجالسين على الرصيف .. واعجب بها احدهم .. وكان من بني جنسها .. وتعرف بها .. واحبها ثم خطبها ، وعزم على الزواج منها .. كان فتى شامخا ، لطيفا كريما .. وكلنا كنا نحبه .. وكان من « زبائن » قهوتنا . يحضر الى هنا كل مساء ليلعب « الطاولة » مع اصحابه على هذه « الترابيزة » هناك ..

« وكانت الفتاة تحضر الى هنا احيانا ، وتقف بقرب الباب ، وتبعثني اليه لاستدعيه . فيترك اللعب ويخرج

رفيف

⁂

ليت نجما في سماء المشرق حين يهوي من غديري يستقي
ينشر الورد على ارجوحتي ثم يلقي عطره في مفرقي
علني ابني من الورد لها الف قصر في حدود الافق
انا لولاها غريب ضائع انا لولا حبها لم اخلق
انا اهواها فيا عطر انهمر فوق شباكي وبالنور اغرق
ربة للحسن في اعطافها انبت الروض غصون الزنبق
بين جفنيها مرايا عكست في كؤوس التبر لون الحبق

يا اخضرار العين ارهقت دمي لا تدعني خذ بقايا رمقي
ضمني ما بين جفنيك اذا ضاقت الدنيا بنا وانطلق
نزرع الآفاق بالحب ولا نرتوي الا بدمع الشفق

يا حبيبي اي قلب في الهوى لم يسبح ، لم يذب ، لم يشهق
نحن للحب خلقنا ههنا لم يعش في الناس من لم يعشق

بيت يامون ــ لبنان

محمد شمس الدين

اليها للحديث او للنزهة .. وقد احبته على ما لاحظت حبا شديدا ، وعقدت عليه الامال .. كان هنا مكانه المختار ساعة المساء .. فكانت اذا ارادت لقاءه او التحدث اليه في اي شأن ، وجدته جالسا هنا مع اصحابه .. وكنت لا اراها الا باسمة ضاحكة .. كانت سعيدة دائما ، وكريمة مثله ..

واشعل شحاته السيجارة التي قدمتها له ، ونفث دخانها ، ثم تابع كلامه :

« .. ولكن لم تمض على خطبتهما هذه ، وعلى تلك الهناءة غير شهور قلائل حتى شبت الحرب لعنها الله .. وجند الفتى وذهب الى الميدان .. وغاب طويلا .. وانقطعت اخباره .. ولكنه لم يرجع .. ثم علمنا انه قتل في الحرب ..

« غير انها لم تصدق انه مات .. ولا تطيق ان تسمع احدا يقول انه لن يعود ! .. فهو في اعتقادها ما زال حيا يرزق .. ولا بد ان يرجع ! .. ويجلس هنا في مكانه ــ هنا في هذه الحديقة ، وعلى هذا المقعد نفسه ، والى هذا الخوان حيث كانت تجلس هي الان ... ذكرياته كلها لم تزل باقية هنا كما كانت .. الهواء الذي كان يستنشقه .. وكرمة العنب ، واللوفة .. والاصحاب .. والقطط التي كانت تسرح حول قدميه وهو يلقي اليها بفتات الخبز والجبن .. « صحيح كان راجل عال ــ الله يرحمه ... مسكينة .. »

وتركني العم شحاته الى زبون يصفق في الخارج .. وبقيت اتفرج في ذهول على قطط القهوة وهي تجري الواحدة وراء الاخرى .. والافكار تجري مثلها وتدور ! ..

ولما عدت بعد ايام، رايت صاحبتنا تتسلل الى حديقة القهوة ، وتجلس على المقعد نفسه وتستند الى الخوان .. وعيناها ترقبان الباب الزجاجي المفتوح امامها ، كأنما تتوقع قدوم انسان !!

الاسكندرية **نقولا يوسف**



الساعــات الاخيـرة

تاليف طاهر الطناحي ـ تقديم عباس محمود العقاد
(لم يذكر الاستاذ البيومي عدد صفحات الكتاب واين طبع)

أعجب للاديب الصحافي كيف يتسنى له ان ينتج ادبا محضا ، هذه الايام ، اذ انه من اعماله الكثيرة في موج حاشد لا انتهاء له ، ومع ذلك ترى لذوي الاصالة من هؤلاء عزيمة قادرة تضطرهم ان يرضوا حاجات قرائهم فيخرجوا عليهم بين الفينة والفينة بمؤلف نفيس !!

والاستاذ طاهر الطناحي مدير تحرير مجلة الهلال وروايات الهلال وكتاب الهلال ، اديب متمكن كادت الصحافة ان تجني على مواهبه القادرة ، فهو لا يفرغ قليلا لنفسه فيجمع من الصحف المختلفة ما نفحت به قريحته الفياضة في مدى اكثر من ربع قرن، حافل بالدراسات الحية ، والمقالات النفيسة ، والقصائد الممتعة ، وكم نصحه الناصحون ، فابتسم في لطف ، ووثق في صفاء الجو مستقبلا ، وهيهات .

على ان الصحافة قد أفادت ادبه من ناحية هامة اذ مكنته من الاتصال الشخصي بصفوة مختارة من اعلام الادب والفن في العصر الحديث فشافه نفوسهم ، ودرس احاسيسهم ، وحلل منازعتهم ثم استطاع ان يكتب عنهم ما يعتبره الناقدون مادة حية لتاريخنا الثقافي المعاصر ، ولا عيب على كتابة هذه غير انها لا تزال مبعثرة في صحف دار الهلال المختلفة ، وتتطلب من يجمعها في مجلد خاص ، فمتى يكون؟

وقد ظهر في هذه الايام مؤلفه الاخير (الساعات الاخيرة) يتضمن فصولا رائعة عن بعض اعلام النهضة الادبية والعلمية في الشرق والغرب، ويتحدث عن ساعاتهم الاخيرة على فراش الموت ، حديثا لا يقتصر على هذه اللحظات الحرجة وحدها ، بل يمتد في براعة شائقة حتى يقدم خلاصة اعمالهم المجيدة ، في سياق فني متسلسل ، يستهوي القارىء فلا يشعره ان مؤلفا يؤرخ ، بل يحس في اعماقه ان روحا عذبة تتحدث في تأثر منفعل ، لتصور مفارقات الدهر ، وعبر الايام .

وقد نشا الكاتب نشأته الاولى بمدينة دمياط ، ذات التاريخ الحافل في القديم والحديث ، فالهمته لا شعوريا ان يدرس كتاب الزمن ليعرف ما قام به اجداده الاماثل من نضال رائع عبر القرون ، ثم تعلم في الازهر ودار العلوم فاورثاه حبا للادب ، وهياما بالبلاغة العربية ، فاصبح بنشأته وثقافته مؤرخا يقدم مادته في سياق ادبي شفاف ، واديبا يتخذ من مشاهد التاريخ متنفسا لالهامه ، ومجالا لابداعه الرصين .

وقد طلع على القراء بلون خاص من الكتابة التاريخية ، نراه في مؤلفه البديع « معارك السيف والقلم » اذ رسم صورا حية لاناس من عظماء التاريخ الاسلامي في عصر بني العباس ، فساق حيواتهم الحافلة في نسق روائي متزن ، تقرؤه في هدوء فتجد الحقائق العلمية بارزة تطالعك من كل سطر ، وترى الخيال يسير في خدمة هذه الحقائق ليجلو غوامضها ، ويفسر مبهمها ، لا ليختلق تاريخا جديدا ، كما تعود بعض الكاتبين ان يلجا الى خياله ، فيتجنى على الحقائق ويكتب اوهاما لا صلة لها بالتاريخ ، ولكن الاستاذ الطناحي قد زاوج بين الفن والعلم مزاوجة عادلة فلم ترجح احدى كفتي الميزان ، واستطـاع ان يعرض التاريخ الحق في نسق لطيف .

وكتاب (الساعات الاخيرة) قريـب الشبه بكتاب معارك السيف والقـلم ، مـن ناحية اهتمامه بالعرض الادبي من جهة ، والحقائق التاريخية من جهة ثانية ، ولكنه قد اتخذ له مسرحا غير مسرح الكتاب الاول ، فهو يتحدث في اكثر فصوله عن اناس معـاصرين لا عن رجال بني العباس على ضفاف دجلة والفرات، وهو يتخذ من الحوار والمسامرة طريقة شائقة لعرض افكاره ، وجلاء معانيه فاكتمل له من التاثير الخالب والنفاذ البصير شيء كثير .

والكتاب معرض بهيج يرى فيه كل قارىء مشتهاه ، حتى ليصعب على الناقد ان يميل به الى ضرب خاص من الفنون ، فلك ان تجعله كتاب ادب او كتاب تاريخ او كتاب اخلاق !! وانت مصيب في جميع ما تراه .

لك ان تجعله كتاب ادب حين تراه يعمد الى محاكاة كل اديب يتحدث عنه ، فاذا كتب عن حافظ ابراهيم مثلا عاش في جوه وطاوعته السلاسة العذبة فاتى من الاسلوب ما يكشف عن رقة وفكاهة . واوقفك من خلال كلماته على خصائص الرجل الفكرية ومنحاه الادبي ، وتلك مقدرة لا تنكر ، اذ ان المؤلف قد يتعرض لرجلين يختلفان منحى وطريقة ، فيتحدث عن كل اديب بلغته ومشربه ، وقد يكون احدهما نهرا يسيل ، والاخر طودا يجثم ، ومع ذلك فالاستاذ الطناحي قدير على ان يجمـع بين الشتيتين ، ويؤلف بين النقيضين !!

يتحدث ـ مثلا ـ عن مصطفى لطفي المنفلوطي صاحـب السلاسة الممتعة ، والعذوبة الشفافة ، والانطلاق الحر ، فيقول متكلما عن يوم وفاته حين اعتدي على الزعيم الوطني سعد زغلول :

« لكان هذه الحمائم الساجعة في رياضها ، وهذه الازاهر الباسمة على افنانها ، وهذه الارام الرائعة في فيافيها ، وهذا النسيم المختال في خطراته ، المدل بلثماته ، وقد سمعت بموته ، وتحطيم قيثارته ، فوجمت الحمائم وذوت الازاهر ، واعتقلت الفجيعة فيه الارام فسقطت شجية بخطبه يوم شغل الناس عنه باصابة سعد ، فنسوا كل شيء حتى هذا المصاب العظيم ، واستهانوا بكل خطب ، حتى هذا الخطب الجسيم، فحمل الهول عنهم تلك الطيور الوفية التي طالما ناجاها ، وتلك الازهار الندية التي طالما استوحاها ، وتلك الظباء الرشيقة الاسرة التي تحاكي اسلوبه في رشاقة ، وسحره واثره في القلوب » .

ثم يتحدث عن السيد توفيق البكري صاحب السجعات المنمقة ، والنواحل المنسقة ، والغرابة الجزلة ، والاصطياد المتربص لاوابد اللغة وشواردها ، فيقول : « يا ما احلى الوحدة والريف ، وذلك المشتى والمصيف ، والجو السجع ، والظل الوريف ، ما لي وللناس ! ولاميرهم العباس ، وقد مارستهم اشق مراس ، فلقيت منهم الفور والباس » !!

ثم تدور فصول الكتاب على نحو من ذلك ، بتخرج قارئه وقد ألم بخصائص كل اديب ، وتابع التطور العقلي والاسلوبي لدى الكتاب فاغناه ذلك عن كل ما يقف فيه النقاد من احكام .

ولك من ذلك ان تجعل الكتاب كتاب سياسة وتاريخ ، اذ ان قارىء سيرة مصطفى كامل او محمد عبده ، او توفيق البكري او علي يوسف ، او تولستوي سليم بالادوار السياسيـة الهامة التي قام بها كل رجل في محيطه ، فيعرف كيف عاون هؤلاء كل على طريقته ، على ايجـاد مجتمع دستوري حر ، وكيف قاوموا الطغيان السياسي والاستعماري والاقطاعي مقاومة تكشفت عن غنائم حافلة للانسانية ، وسعـادة وافية للاوطان ... ففيه العبرة التاريخية واللذة الفكرية، في رصد الحوادث، واستكناه سير الابطال .

أما فائدة الكتاب الخلقية فاكبر من ان تحد ، اذ ان اختيار الكاتب لابطاله الافذاذ من عمالقة الاحرار قد ضرب المثل الاعلى لكل قارىء في الرجولة والكرامة ، وحبب اليه ان يكون من طراز هؤلاء الاماثل ، الذين رفعوا صروح الاخلاق الكريمة على اساس وطيد » .

واليك مثلا ما ذكره من بعض مواقف الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله :

« نشب النزاع بين الخديوي عباس ، والاستاذ الامام في السنوات الاخيرة من حياته ، وقد بدأ اولا بوشاية الواشين ، ثم حدث ان خلت كسوة التشريف العلمية بموت احد كبار العلماء ، فبعث الخديوي عباس لشيخ الازهر السيد علي البيلادي يبلغه امر سموه بمنح هذه الكسوة للشيخ محمد راشد مفتي المعية ، فلم ينفذ هذا الامر ، فلما اجتمع العلماء بالخديوي في التشريفات قال الخديوي لشيخ الازهر : ألم يصلك امري باسناد الكسوة الى الشيخ محمد راشد ؟ !

فتلعثم شيخ الازهر ، ونهض بالجواب عنه الشيخ محمد عبده فقال: ما قرره مجلس ادارة الازهر انما هو تنفيذ لاوامر افندينا لانه هو ما نص عليه القانون المتوج باسم سموكم ، واما الاوامر الشفوية ، فلا يستطيع المجلس ان يعتمد عليها ، فاذا شاء افندينا ان تكون كساوي العلماء بمقتضى ارادته الشخصية فليصدر بذلك قانونا اخر ينسخ هذا القانون ، او مادة قانونية نصها « كساوي العلماء تمنح بأمر منا ».

تلك احدى البطولات التي رصدها الكتاب :

وفي سير تولستوي ومصطفى كامل ، واسماعيل صبري ضروب من الشجاعة الادبية ، لا ينكر رصيدها الخلقي في خزائن الرجولة والكفاح! وهي بعد مناط القدوة والاحتذاء .

اما العزاء النفسي ، فقد وجد نافذته المريحة في خلال هذا السفر الجميل ، فانت تقرأ مثلا موضوع « لماذا تخاف من الموت » فتشعر براحة هادئة اذ ترى محاولة نبيلة لتهوين هذا المصاب الانساني الفادح! وتلمس من الادلة العقلية والخطابية ما يرضي فيك الادراك العاقل ، والوجدان الحساس ، ثم تجد في غضون الكتاب ما يؤكد هذا المعنى ويقويه .

فمحمد صلى الله عليه وسلم ـ ص ٥٦ ـ يسمع ابنته فاطمة تصرخ في احتضاره قائلة : واكرباه ! فينتبه من اغمائه ، وينظر اليها ثم يقول بصوت خافت : مرحبا بك يا فاطمة ، لا كرب على ابيك بعد اليوم

وهو ـ عليه السلام ـ ص ٥٣ ـ يرى المسلمين يتأوهون لمرضه فيصعد على المنبر ويقول : أيها الناس ان عبدا من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله .

هذا هو النبي الكريم ، اما الشاعر فيقول على لسان اسماعيل صبري ص ١٢١ :

مقابر من ماتوا منازل راحة ... فلا تك اثر الهالكين جزوعا
وان تبك ميتا ضمه القبر فادخر ... لميت على قيد الحياة دموعا

ويقول على لسان فيكتور هوجو ـ ص ١٦٩ : لو لم اكن اومن بالروح لما استطعت الان ان اعيش ساعة واحدة ثم يبلغ قمة العزاء النفسي حين يتحدث عن الاديب الامريكي « ادجار الن بو » فيعرض لمسات زوجته الحبية (فرجيا) قبل وفاته ، ويذكر قولها لزوجها وهي تحتضر في حنان عميق :

« سأصبح ملاكك الحارس يا ادجار ، كلما ترديت في هاوية ارفع ذراعيك فوق رأسك ، فسوف اكون هنا الى جوارك لاخف الى نجدتك، وآخذ بيدك » !

وبعد فان كتابا من السهل الممتنع يقدم في نسق حواري ضروبا من المتعة الرائعة في الادب الفني والتاريخ السياسي والخلق المثالي لجدير ان يحمد صاحبه ، وان يكتب عنه الناقد الادبي بارتياح بالغ مباركا هذا المجهود الفني الحي ، ومقدرا هذا الاثر الهادف النبيل .

الفيوم ـ ج٠ع٠م٠ — محمد رجب البيومي

عائد الى الميدان

مجموعة اقاصيص ـ تاليف عيسى الناعوري ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الرائد في حلب ـ مطبعة الفنون بحلب

هذه هي المجموعة القصصية الثالثة للاديب الاردني المعروف الاستاذ عيسى الناعوري ، فقد سبق ان ظهرت له مجموعة بعنوان (طريق الشوك) عام ١٩٥٥ وظهرت له عام ١٩٥٦ مجموعة ثانية بعنوان (خلي السيف يقول) . واود ان ابادر للاشارة بنشاط الناعوري ودأبه في ميدان الانتاج الادبي ، لا بدافع الصداقة التي تربط بيننا بل بدافع من الرغبة في قول كلمة الحق ، واني لا اعتقد انه يوجد بين كتاب الاردن من يضارعه في غزارة انتاجه . ولقد سبق لي ان تحدثت عن بعض ما انتجه قلم الناعوري ، وذكرت ان مما يؤخذ عليه ، تعدد وجوه نشاطه الادبي : فهو يقرض الشعر (ديوان اناشيدي) ويعمل في النقد الادبي ويكتب البحث العام ويؤلف في سير الحياة (ادب المهجر . ايليا ابو ماضي . الياس فرحات) وهو يترجم ايضا (اطفال وعجائز) . ولكن ارجو ان لا تؤخذ كلمة (مأخذ) بمعناها الحرفي لانها على الارجح نوع من التمني في ان ينصرف الكاتب الى نوع واحد من انواع الانتاج الادبي بحيث يبلغ فيه الذروة .

ولقد كان اول انطباع لي بعد الفراغ من مطالعة هذه المجموعة ، ان كاتبها تطور في فنه تطورا يستحق عليه الثناء ، كيد الصانع الذي يمهر في صناعته فيزول عنه ذلك الحرص الغريزي الذي يلازم المبتدئين . واني لمعجب حقا بقصة (منصور بك) قصة الفتى الذي يدأب ويجد ويكد ولكنه لا يلقى التقدير الملائم لدأبه واجتهاده ، لانه لا يتخذ الاساليب التي يتخذها سواه للتقرب من الرؤساء ، فتتخطاه الترقيات، ثم يسوقه طموحه الى بلاد الغربة حيث النجاح والمكافأة العادلة على الجهد المبذول . ولكن اعجابي لا يمنعني من القول ان الكاتب اغرق قليلا في وصف سيئات مجتمعه وفي مدح حسنات مجتمع اجنبي .. وانا اوافق ان مجتمعنا ما يزال للمحسوبية والمحاباة فيه مكانة ، ولكنها مكانة لا تظهر دائما ولا تبرز في جميع الحالات . واني اعتقد ان المرء يجد مكافأة على جده ومثابرته في مجتمعنا غالبا . على انه اذا كان للقصة من هدف غير هدف التسلية والامتاع ـ فان هذه القصة بالذات تعتبر ناجحة جدا في تصوير حالة من حالات مجتمعنا لا يستطاع نكرانها، وهي ناجحة في اعطاء المثل القريب للنفس الطموحة التي تنفض عنها اردية الخنوع وتضرب في دنيا الله الواسعة بحثا عن حياة افضل واجمل.

وقد بدأ الكاتب مجموعته وانهاها بقصتين تتحدثان عن البطولة في بلادنا . والحديث عن البطولة قريب الى النفس ويسهل ان تستثير به المشاعر . وقد تعرض النقاد كثيرا لهذا اللون من القصص الذي يعتمد على الاثارة الوطنية ، وهو موضوع شديد الحساسية في نفوس ابناء بلادنا . وينصب النقد على محاولة الكتاب استغلال هذه الحساسية من جهة وعلى اختلاق الموضوع من جهة اخرى . ويقول لك الكاتب انه يقصد من ابراز البطولة وتمجيدها ، الى تشويق النفوس اليها كي تتعلق بها وتتعشقها . ولكن الا يؤدي هذا الى تكوين عامل من عوامل الارضاء والاقناع والخداع ؟ ألا يمكن ان نقول ان اكثر الناس حديثا عن البطولة هم اولئك الذين يفتقدونها في نفوسهم ؟

واذا كانت هناك اثارة وطنية ، ففي قصة (فارس عربي من الصحراء) شيء من الصراحة المفتوحة في ميدان الاثارة الجنسية . والصراحة تحمد كما تحمد الشجاعة . ولكن التربية المحافظة الخجولة التي نشأنا عليها تجعل لعبارة « لقد شبعت منها والان اتركها لكم لتشبعوا انتم كذلك » وقعا مؤلما صاعقا في النفس ، وقد يكون هو تعمد اثارة هذا الالم لكي لا يستغل الشبان الذين يسافرون الى الخارج سمعة بلادهم الطيبة من اجل قضاء المآرب الدنيئة .

وتعجبني قصة (تومبولا) بالذات لانها اقرب القصص الى الطبيعة،

والى ما يمكن ان يكون عليه الواقع . وهي في ذلك مثل قصة (استغراق) لولا ان النهاية في القصتين تنحو الى شيء من المثالية التي قد تحدث وقد لا تحدث .

ان الناقد يستطيع ان يقول اشياء كثيرة في الموضوع الذي يعالجه ، ولكن واجب الناقد الاول ان يتوخى الانصاف ويكون مخلصا في ما يقول . واني بهذين الدافعين ارحب ترحيبا حارا بهذه المجموعة التي يحق لها ان تأخذ مكانها المرموق بين القصص العربية القصيرة ، والتي يبرز فيها الناعوري قصاصا في طليعة كتاب القصة القصيرة في الاردن .

عمان   سليمان موسى



● عائد الى الميدان – مجموعة اقاصيص – تاليف عيسى الناعوري – ١٦٨ صفحة – منشورات دار الرائد في حلب – مطبعة الفنون بحلب .

● النغم الحائر – مجموعة شعرية – الهادي نعمان – ٩٠ صفحة – منشورات مكتبة النجاح في تونس – مطبعة النجاح بتونس .

● نظرات في ادبنا المعاصر – تاليف الدكتور زكي المحاسني – ١٢٨ صفحة – منشورات الادارة لعامة للثقافة بوزارة الثقافة والارشاد القومي في القاهرة – مطابع دار القلم بالقاهرة .

● الشوقيات المجهولة : آثار شوقي التي لم يسبق كشفها او نشرها، دراسات واضواء جديدة على حياة الشاعر وعصره وادبه . الجزء الاول (١٨٨٨–١٩٠٣) – تاليف الدكتور محمد صبري – ٣٢٠ صفحة – حجم كبير – مطبعة دار الكتب (؟) .

● الصدفة العذراء – مجموعة قصص – تاليف محمد زكي عبد القادر – ٣٠٤ صفحة – منشورات دار الفصول بالقاهرة – مطابع دار القلم بالقاهرة .

● الطريق الى النجاح – تاليف عبد العزيز جادو – ١١٢ صفحة – منشورات دار المعارف بمصر – سلسلة اقرأ رقم ٢٢٩ – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● محمود احمد السيد – تاليف محمود القبطة المحامي – الجزء الاول – ١٢٨ صفحة – مطبعة الامة ببغداد .

● فصول ملخصة في أسس تهذيب الطفل – تاليف هيئة معهد دراسة الطفل بجامعة تورنتو في كندا – ترجمة ضياء الدين ابو الحب المدرس بمعهد المدرسين العالي ببغداد – ٨٨ صفحة – منشورات مجلة المعلم الجديد لوزارة المعارف العراقية – مطبعة المعارف ببغداد .

● الرائد ، رواية الحب والمغامرة – تاليف بيرك بك – ترجمة ادفيك جريديني شيبوب – ٤٧٢ صفحة – سلسلة روائع القصص العالمي – منشورات دار مجلة شعر ببيروت – مطابع دار مجلة شعر ببيروت .

● الورغي – تاليف محمد الحبيب ابن الخوجة – ١٠٢ صفحة – سلسلة « ادباء المغرب العربي » – منشورات الشركة القومية والتوزيع بتونس – مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● بين عصرين – تاليف الصادق مازيغ – ١٥٢ صفحة – منشورات الشركة القومية للنشر والتوزيع بتونس – مطابع الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● الحرية عند العرب – تاليف ابراهيم حداد – ٢٠٨ صفحة – منشورات دار الثقافة بيروت – مطابع سميا ببيروت .

● فلاسفة الاسلام في الغرب العربي : الكتاب الذهبي للمهرجان التذكاري لفلاسفة الاسلام في الغرب العربي المنعقد بتطوان من ٦ الى ١٠ ابريل ١٩٦٠ – مصمم الغلاف احمد الجوهري – ٢٩٨ صفحة – حجم كبير – منشورات جمعية نبراس الفكر بتطوان – طبع على نفقة المندوبية السامية للشبيبة والرياضة والتربية القومية بتطوان – دار كريماديس للطباعة بتطوان المغرب .

● ١٠ قصص لمارك توين – اشراف تشارلس نايدر – ترجمة فرج جبران – تقديم محمد عبد الحليم عبد الله – مصمم الغلاف منير فهيم شنودة – ١٧٢ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نظرية المعادلات – تاليف س. ك. ماكدافي – ترجمة الدكتور عبد الحميد لطفي مظهر والدكتور ملتيادي حنا – مراجعة الدكتور محمد مرسي احمد – ١٨٨ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة .

● النجوم – تاليف آن تري هوايت – ترجمة اسماعيل حقي – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٣٢ صفحة – مع رسوم – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● الاقمار الصناعية وسفن الفضاء – تاليف دافيد ديتز – ترجمة الدكتور محمد جمال الدين الفندي – مصمم الغلاف – ايهاب شاكر – ١٣٢ صفحة – مع رسوم – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● الجو وتقلباته – تاليف ايفان راي تاينهيل – ترجمة الدكتور محمد جمال الدين الفندي – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٤٠ صفحة – مع رسوم – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● وسائل الانتقال – تاليف الزابوسيل – ترجمة كميل محمد فريد – ٤٨ صفحة – مع رسوم – سلسلة « الف باء » رقم ٩ – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية (؟) – مطبعة مصر (؟) .

● جولة في الشعر العربي المعاصر – تاليف ابراهيم العريض – ٢٤٠ صفحة – منشورات « صوت البحرين » بالبحرين – نشر دار العلم للملايين ببيروت – مطبعة كرم ببيروت .

● العربية السماعية ، طريقة جديدة للتهجئة والكتابة – تاليف عبد المجيد التاجي الفاروقي المحاضر في اللغة العربية في جامعة درهام – طبعة ثالثة منقحة – ١٠٦ صفحة – حجم كبير – مطابع كنجز كولدج في لندن .

● على هامش كتاب العربية السماعية ، فصول اضافية – تاليف عبد المجيد التاجي الفاروقي – « كتب بموجب طريقة المؤلف » – ٤٦ صفحة – حجم كبير – مطابع كنجز كولدج في لندن .

جولة الأديب في شهر

جرجي زيدان .. مرور مائة سنة على ولادته

وقع بيدي في هذه الايام اثر قديم من اثار جرجي زيدان هو كتابه الفريد، السباق على غيره في موضوعه المسمى « الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » الذي طبع اول مرة في بيروت سنة ١٨٨٦ . وذكرني هذا الكتاب بالرجل الذي كانت كتبه ورواياته من اوائل المقروءات التي أتيح لي ان اطلع عليها واشغف بها في مطلع العمر، وحببت الى القراءة . وفضل جرجي زيدان على الناشئة وفضله على العلم والادب والتاريخ والصحافة فضل مشهود به، ولا تزال كتبه ولا سيما رواياته مقروءة مطلوبة حتى اليوم .

جدد عثوري على كتابه ذاك ذكرى هذا النابغة اللبناني العصامي في نفسي وحبب الى تقصي اخباره من جديد فاذا بي اكتشف ان مائة سنة كاملة انقضت على ولادته اذ انه ولد في بيروت في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٦١ وكانت مناسبة جميلة لاحياء ذكراه .

نشا زيدان عصاميا في عائلة فقيرة من غمار الناس الطيبين لم يكن بيته من « البيوتات » وان كان ينمي نسبه الى الغساسنة كما حاول هو بيان ذلك في مذكرات له لم تنشر . قالت عنه جريدة المؤيد بعد وفاته : ولم يكن في نبوغه واشتهاره فضل الا لجده الذي كان سنده وعضده الوحيد » .

اضطره طلب الرزق الى قطع الدراسة وهو يافع ثم تقلبت به الايام وتفتحت نفسه على الدنيا رغب بطلب فن يكون ذا عائدة اكيدة سريعة - هكذا احسب - تنقذه من ضيق الحال فطلب مركبا صعبا طلب «الطب» ولكنه لم يتمه في بيروت ولا في القاهرة بعد ذلك لاسباب خارجة عن ارادته واتم بدله صناعة الصيدلة .

وفي ظروف ودوافع لا نعلمها اتجه الى وجهة تختلف عن وجهة الطب والصيدلة اختلافا تاما كان له عنها مندوحة فان فن الصيدلة كان حريا به ان يوصله الى حياة الرغد والعيش الهنيء في بيروت او في القاهرة .. اتجه الى الصحافة والتاليف والتدريس وما الى ذلك من الاعمال الفكرية التي كان له فيها سابق هوى .

ان نشأة زيدان الاولى كما رأينا كانت نشأة علمية من شانها التنظيم والمتابعة والتعميق والصبر لذا نراه حين اتجه الى الصحافة والتاليف اخذ بهذا الخلق فكان اول كتاب له هو « الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » الذي اشرنا اليه في اول الكلام وهو موضوع علمي صعب لم يسبق اليه سابق ألفه في بيروت بعد ان اتقن الادوات وتعلم اللغات ولكنه حين صدر لم يكن في رأي صاحبه الذي سجله في مقدمة الطبعة الاولى له الا « عجالة » مع انه في الواقع وكما جاء في مقدمة الطبعة الثانية له ١٩٤٠. « البحث التلحيلي في كيف نشات اللغة العربية وتكونت باعتبار انها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام » وكان زيدان فيه اول من فلسف اللغة العربية وبحث في نشوئها ونموها واشتقاقها وما الى ذلك مما يتصل بفقه اللغة وتاريخها وعلى اثرصدور هذا الكتاب انتخب صاحبه عضوا في الجمعية الاسيوية الإيطالية واشارت احدى الصحف الاجنبية الصادرة في القاهرة يوم وفاته الى انه الكاتب العربي الوحيد الذي حاز شهرة في اوربا .

وكان من بواكير كتبه « تاريخ الماسونية العام » الذي قيل عنه بانه اول كتاب كتب في العربية من هذا النوع «والمملوك الشارد» وهو اولى رواية تاريخية له .

وفي عام ١٨٩٢ اصدر مجلة الهلال وبقي يحررها هو بنفسه الى ان توفي بعد ٢٢عاما .

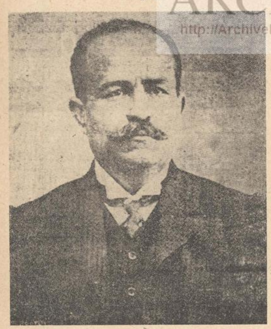
وقد وصف مصطفى لطفي المنفلوطي سلوك زيدان الاصلاحي الشعبي بقوله : وكان خير ما يعجبني منه ترفعه عن مجاراة المتكبرين من الكتاب في كبريائهم وتنزله في كثير من مواقفه الى منازل العامة ليحدثهم بما يفهمون لانه كان من كتاب المعاني لا من كتاب الالفاظ ولانه كان يؤثر ان يتعلم عنه الجاهلون على ان يرضى عنه المتحذلقون .

عاني زيدان من قسوة المتهجمين او الناقدين الشيء الكثير رغم انه كان متواضعا وانه كان طالب علم فقد قال في مقدمة كتابه « تاريخ مصر الحديث » الذي ألفه بجزأين سنة ١٨٨٨ وهو من اوائل كتبه واعتمد فيه على مصادر عربية وافرنجية قال :

واني ارغب الى من يعثر لي على خطأ ان ينبهني اليه فاشكر سعيه واثني عليه لاني استحي من الحق اذا عرفته ان لا ارجع اليه او يعذرني فان اعقل الناس اعذرهم للناس ولا اقول كل خطأ سهو جرى به القلم بل اعترف ان ما اجهل اكثر مما اعلم وما تمام العلم الا لمن علم الانسان ما لم يعلم .

وقد طبع في الهند على اثر صدور كتابه هذا كراس بعنوان « نبش الهذيان » احصى فيه مؤلفه الشيخ المدني مائة غلطة وغلطة قال انها وردت في الكتاب واجاب زيدان طلب احد اصحابه فرد على الكراس برسالة في ٣٢ صفحة سماها « رد رنان على نبش الهذيان » طبعت

جرجي زيدان



في القاهرة سنة ١٨٩١ صد فيها الهجوم الموجه اليه في الكراس وفند النقد ولم يعترف الا ببعض الفلتات التي لم تبلغ الخمس .

وكان المرحوم المازني ممن انتقد زيدان وحمل عليه ولكنه حين سالته جريدة الهدف العراقية سنة ١٩٣٩ عن رأيه فيه لم يسعه الا ان يقول ان له في الادب العربي خدمات تجعله في عداد الخالدين وسجل هذا الراي في العدد الخاص الذي اصدرته الهدف عن جرجي زيدان في ٢١ تموز ١٩٣٩ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على وفاته وهو اول عدد خاص احسب صدر من صحيفة عراقية عن اديب ليس من العراق .

الا ان نصراء زيدان ومحبيه ومقدريه كانوا اكثر من منتقديه وان المعترفين بفضله على النهضة الفكرية والوعي العربي هم اكثر من جاحدي هذا الفضل وللناس في الناس اراء تختلف باختلاف الاذواق بلا مراء .

كان زيدان ينشر رواياته في التاريخ الاسلامي متسلسلة في الهلال ثم يجمعها في كتب مستقلة تتناول كل رواية منها عصرا تاريخيا منذ ظهور الاسلام ولكن السلسلة لم تكمل وقد صدر منها ١٨ رواية اعيد طبعها مرات عدة ولكنني لاحظت ان الطبعات الجديدة منها تختلف عن الطبعات الاولى بعض الاختلاف فقد اباح الناشرون لانفسهم ان يحذفوا ويضيفوا ما شاءوا في الطبعات الجديدة وهذا غير جائز اطلاقا اذ يجب ان يبقى الاصل كما وصفه المؤلف سليما لا يتصرف فيه متصرف .

وقد اثارت هذه الروايات خواطر كثيرة لدى صدورها ونقد بعض ما جاء فيها مما رآه جرجي زيدان يتمشى مع لياقة السرد القصصي المشوق الذي قد لا يتفق مع الحقائق التاريخية او لا وجود له اطلاقا فالف مثلا المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري كتابا مستقلا بعنوان «براءة العباسة اخت الرشيد» بمناسبة ما جاء عنها برواية زيدان «العباسة اخت الرشيد» وقد صاحب الجواهري التوفيق في بيان ما اراده من كتابه الذي يعد ردا غير مباشر على رواية زيدان المذكورة وترجمت اكثر هذه الروايات الى جملة من اللغات الشرقية والغربية وهي من ناحية الفن القصصي تعد ولا شك من الاعمال القصصية الناجحة في الادب العربي في مطلع نهضته الحديثة ولا ادري كيف يغفل جرجي زيدان حين تؤرخ القصة العربية ويؤرخ روادها .

لقد قال نقولا الحداد عن جرجي زيدان : وهو كروائي وصاف يوهمك وهو يصف المدن والمنازل والحضارات والقوافل والمجتمعات والعازات والاخلاق انه كان مخالطا للقوم ومشاهدا للحوادث .

وقال عنه الاستاذ ذو النون ايوب : واني اعتقد ان فننا خصيصا في كل الدنيا لم يوفق الى وضع تاريخ قوم واحيائه بهذه الكيفية العلمية الفنية الممتعة الصادقة كما توفق هذا النابغة .

ولزيدان غير الروايات وغير ما ذكرنا من الكتب مؤلفات قيمة في تاريخ العرب والاسلام واللغة يعد فيها من الرواد الاوائل الذين طرقوا هذه المواضيع البكر واسهموا في جلاء التاريخ العربي والمدنية الاسلامية وعبقرية اللغة العربية في اخلاص واشراق رغم اضطراب المصادر وعثرات الطريق يومذاك فشاركت اثاره هذه مشاركة فعالة في تنمية الروح الوطنية والنهضة القومية ولا ادل على ريادته في ذلك ان اول كتاب الفه كان عن اللغة العربية وهو اول كتاب عصري فيها كما تقدم ، ولا يزال كتاباه « تاريخ اللغة العربية » في اربعة اجزاء ، و « تاريخ التمدن الاسلامي » في خمسة اجزاء ، يعتبران من المصادر المعتمد عليها في موضوعهما المستفاد منهما دائما وكذلك الشان مع كتابيه « تاريخ اللغة العربية » و « انساب العرب القدماء » .

وقال المرحوم العلامة احمد زكي باشا عن زيدان :

كان له نصيب كبير في التذكير بما كان للاسلام وللعرب من جلائل الاثار في ترقية الحضارة ورفع منار العمران .

ولعل من الطريف ان نذكر ان للرجل كتبا اخرى في ابواب غريبة



ككتابه عن «علم الفراسة الحديث» وكتابه عن « عجائب الخلق » وفي هذا الاخير يقول المؤلف حين ينتهي من حديثه عن قردة ذكية جيء بها من الكونغو الى امريكا وحاول صاحبها ان يعلمها شيئا من النطق : ونظنها - أي القردة - ندبت سوء حظها الذي ساقها من وطنها في غابات الكونغو الى ما بين يدي الانسان ليعلمها لسانه ويجلسها على كرسيه في حديقته وهي في غنى عن ذلك بأصواتها وغاباتها في بلدها تنتقل من غصن الى غصن تتفاهم بالصياح والقهقهة ولكن الانسان معجب بمدنيته يظنها ارقى اسباب السعادة وهي بعيدة عنها مثل بعدها عن الفطرة الطبيعية . وفي هذا يعلن جرجي زيدان عن رأيه بالسعادة وأين تكون ؟ !

ولجرجي زيدان ايضا اربع روايات خارجة عن سلسلة تاريخ الاسلام منها رواية « المملوك الشارد » المتقدم ذكرها وله كذلك كتابه الشهير المنسوج على منواله « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » في جزئين وكتاب «طبقات الامم والتاريخ العام» الجزء الاول و «مختصر تاريخ اليونان والرومان» و «مختصر جغرافية مصر» .

وصف ولي الدين يكن كتب زيدان في مرثاته له فقال :

كتب تضمنت الزمان وشرحه
فيها فصول كالوجود واوسع
قصص واداب وجمع معارف
رفعت بلادك للسهى وسترفع
احييت ذكر السالفين اولى النهم
ان الكريم لمثله يتشيع

وقال عنه المنفلوطي ككاتب ان كان الرجل هو الكتابة كما يقولون فلا اعلم احدا في هذا البلد كان اولى بهذا الوصف من المرحوم جرجي زيدان .

وفي ٢١ تموز ١٩١٤ اغمض زيدان جفنيه عن العالم وكأنه لم يشأ ان يرى مآسي الحرب العالمية الاولى التي كشرت عن انيابها بعد ذلك بقليل ولم يتجاوز عمره ٥٣ سنة فرثاه الادباء والشعراء والمفكرون والاحرار رثاه شوقي وحافظ ابراهيم وابو ماضي وجبران واحمد زكي باشا والمنفلوطي وولي الدين يكن وحفني ناصف ورفيق العظم وغيرهم من اصحابه وقرائه في سائر البلاد (جريدة «الزمان» العراقية).

بغداد **مشكور الاسدي**

رسالة « الاديب » رسالة النضال الادبي الحر والتضحية

عندما يؤمن الانسان بمبدأ .. ويتسلح لحمل اعباء رسالة هذا المبدأ بالاسلحة التي يفرضها الهدف المنشود .. من عوامل النجاح .. وهداية الدرب الذي سيسلكه وعندما يتغلب على عوامل السأم والملل ويضحي بكل غال في سبيل انجاح فكرته اذا كانت الفكرة سامية - عندما تتوافر مثل هذه الخصائص في انسان ما ، يصبح ذلك الانسان.. انشودة على كل لسان ، واغنية على كل شفة .. لا سيما اذا كان المجال مجالا ، فكريا (علما ، ادبا ، فنا ..) لذلك نرى اليوم ان الاستاذ الكبير البير اديب صاحب مجلة « الاديب » قد اصبح علما من اعلام النضال الادبي الحر في دنيا العرب .. بل رائدا من ابرز الرواد في نهضة الادب العربي المعاصر ، واصبحت مجلته « الاديب » مدرسة فكرية قائمة بذاتها لها فلسفتها الخاصة ومنهجها المتطور الذي لا يعرف الوقوف عند نهاية المطاف .. بل لا يعرف للمطاف نهاية.. ولذلك بقيت هذه المجلة حتى الان تخدم الفكر العربي في شرف وتضحية ..

ولقد استهلت مجلة « الاديب » عقدها الثالث من عمرها المديد - ان شاء الله - بعدد يناير الجاري ١٩٦٢ م وهي كما بدأت في عنفوان شبابها بله التقدم المطرد الذي ظل يلازمها مدة هذه السنوات العشرين.

والحق ان مجلة الاديب هي مجلة العرب جميعهم ،. وهي الواجهة الامامية او احدى واجهات الادب العربي التي تمثل الثقافة العربية المعاصرة - امام المستشرقين والمعنيين بدراسة تراثنا الحديث .. وافكارنا .. - ولذا فان من واجب كل دولة عربية ان تساعد جميع المجلات الكبرى ذات المستويات الفكرية الناضجة والاهداف الانسانية النزيهة - ومن ضمنها « الاديب » ان تساعدها على البقاء والحياة .. عن طريق الاشتراك فيها باعداد كبيرة لتوزيعها على جهات الاختصاص.. ذات القابلية للانتفاع بها والاستفادة منها .. في المدارس والمكتبات .

وانا حينما اقترح هذا انما يحدوني اليه الاشفاق على «الاديب» ان تحتجب عندما يتقلص زيتها ويحول عجزها « المادي » عن مواصلة السير في الدرب المضيء الذي تشعه منذ اكثر من عشرين عاما .. فالمجلات الراقية كـ « الاديب » و « الاداب » و « والمجلة » و « الشهر » و « العربي » وامثالها - مجلات لا ترضى من نورها بالخفوت .. ولا من جهدها بالتواضع .. ولا ان يشوب رسالتها شائبة.

ولقد حدثني الاستاذ البير اديب - حينما التقيت به في بيروت في العام الماضي عما يلاقي من متاعب جمة في سبيل استمرارها على الصدور بسبب العجز المادي .. فهي تكلفه وتباع بمقدار التكاليف أي دون مكسب .. اللهم الا اعلانات قليلة جدا لا تسمن ولا تغني من جوع ، نظرا لكونها مجلة شهرية واصحاب الاعلانات يفضلون النشر في الصحف اليومية والاسبوعية لذا يحسن ان نقدر ظروف مثل تلك المجلات .. ومن ثم نعينها ولو بمجرد الاشتراك فيها اشتراكا مستمرا.. وقال لي : « انني خسرت في هذه المجلة منذ صدورها حتى الان (٨٠٠٠٠) ثمانين الف ليرة لبنانية .. وكل اعتمادنا المادي لتغذية المجلة هو على اشتراكات المشجعين والانصار .. الخ » ..

فنظرة يا وزارة المعارف ويا مديرية الاذاعة والصحافة والنشر وتقديرا وتشجيعا - أيها الادباء - لمدرستكم الممتازة مجلة « الاديب » الغراء ، واخواتها من كبريات المجلات التعليمية والادبية في العالم العربي ..

وتحية منا الى مجلتنا المحبوبة .. والى صاحبها المجاهد الصابر « البير اديب » بمناسبة اكمالها عشرين عاما ، وبمناسبة سلامة صاحبها من الحادث المؤسف الذي وقع فروعنا ولكن الله من عليه بالسلامة منه فشفاه عاجلا . (جريدة « البلاد » السعودية) .

الرياض **عبدالله بن ادريس**



يناير ١٩٦٢

١٥ ـ ذكرت الحكومة السورية انها اعتقلت مثيري المظاهرات الاخيرة التي وقعت في دمشق.

ـ اعلن في لاهاي ان الاسطول الهولندي اطلق النار على سفن حربية اندونيسية كانت متجهة نحو ساحل ايريان الغربية .

ـ بدات مناورات حلف شمال الاطلنطي المعروفة باسم لونغشراست .

ـ قمعت القوات الدولية وقوات الكونغو المركزية حركة التمرد في ستانليفيل وحاصرت غيزينغا في مقره .

ـ اعلنت حكومة المانيا الغربية انها وجدت أسسا مشتركة لتفاوض الغرب والشرق حول برلين .

١٦ ـ ابتدات في باريس المفاوضات التونسية الفرنسية للجلاء عن بنزرت .

ـ حمل الامير سيهانوك على الحزب الشيوعي الكمبودي وقال ان هناك مؤامرة شيوعية تستهدف الاطاحة بنظام الحكم .

ـ ابلغ مندوبا بريطانيا وامريكا المندوب الروسي في جنيف استعداد بلديهما للبحث في حظر التجارب النووية ضمن مفاوضات نزع السلاح الشامل .

ـ أصدرت وزارة الدفاع اللبنانية بيانا اوضحت فيه اجراءات قمع العصيان المتخذة وقالت ان مهمة الحزب القومي السوري كانت القيام بدور تخريبي ، وان استثمار عمل الحزب كان مناطا باعضائه البارزين وببعض الهيئات والاشخاص المكلفين بهذا العمل وحذر البيان الشعب من المرحلة الثانية النفسية وحرب الاشاعات .

ـ وصل ميكويان نائب رئيس الحكومة السوفياتية الى باماكو في زيارة لجمهورية مالي .

ـ اعلنت جبهة التحرير الوطني اضرابا عاما في الجزائر احتجاجا على الجرائم العنصرية التي ترتكب ضد الشعب الاعزل من السلاح .

ـ وصل المشير عامر نائب رئيس ج.ع.م. الى جاكرتا واعلن تاييد بلاده لاندونيسيا في نضالها لاسترداد ايريان الغربية .

ـ اقيل غيزينغا من منصب نائب رئيس وزراء الكونغو ووضع تحت الحماية تمهيدا لمحاكمته . وقد رفض برلمان كاتانغا اقرار اتفاق كيتونا القاضي بانهاء انفصال كاتانغا دون حضور ممثل للامم المتحدة .

ـ وصل فانفاني رئيس وزراء ايطاليا الى لندن لاجراء محادثات مع مكميلان .

١٧ ـ اصدر الشيخ عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت مرسوما بتاليف اول وزارة كويتية .

ـ انتزع الجيش في جمهورية الدومينيك زمام الحكم واستقال رئيس الجمهورية خواكين بالاغير .

ـ اعلن الدكتور معروف الدواليبي استتباب الامن في سورية . وقد احيل الموقوفون الذين سببوا حوادث الشغب الى المحاكمة وعددهم ٧٠ واكثرهم من غير السوريين .

ـ عرض يوثانت امين عام الامم المتحدة رسميا على اندونيسيا وهولندا مساعيه لتسوية خلافهما وناشدهما الامتناع عن أي عمل يهدد السلام .

ـ رحب اديناور بانتقال السوق الاوروبية المشتركة الى مرحلتها الثانية نتيجة لاتفاق بروكسل الاخير على سياسة زراعية مشتركة واعلن انه لا يمكن ان تنشب حروب اخرى بين دول اوروبا الغربية .

ـ اصدر عبد الناصر مرسوما بتشكيل المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في مصر من ١٥٠٠ عضو على ان يقر ميثاقا وطنيا .

ـ طلبت الهند من مجلس الامن رفض طلب الباكستان لبحث النزاع الهندي الباكستاني على كشمير .

١٨ ـ أعيد انتخاب اورهو كيكونن رئيسا لجمهورية فنلندا .

ـ تواصل الجمعية العامة مناقشتها لقضية انغولا وقد تعرضت البرتغال لحملة عنيفة بسبب سياستها الدموية في انغولا .

ـ استدعت العراق سفيرها في الاردن .

ـ اعلنت الجمعية العامة للمحامين في بيروت وقف اضراب المحامين الذي استمر ٣٠٢ أيام .

ـ صدر بلاغ مشترك عن محادثات مكميلان وفانفاني تحدث عن المشاكل التي تواجه اوروبا . وتجلى الاتفاق على السوق الاوروبية المشتركة .

١٩ ـ حدث انقلاب ديموقراطي على الانقلاب العسكري في الدومنيك ونصب رفائيل بونيلي رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس السابق بالاغوير .

ـ اكد راسك وزير خارجية امريكا ان الخطر باق في برلين ودعا الى اعتبار كوبا منفذا للقوات الاجنبية .

ـ توصل امراء لاوس الثلاثة في جنيف على صيغة تشكيل حكومة اتحاد وطني محايدة

ـ تدور معارك شديدة في فيتنام الجنوبية في مقاطعة كوانغ نام بين قوات الحكومة وقوات الفيتلونغ الشيوعية .

ـ وصل ميكويان الى الرباط لاجراء محادثات مع المسؤولين المغربيين والجزائريين

ـ اتهمت روسيا السفارة الاسرائيلية في موسكو بالتجسس .

٢٠ ـ اذاعت موسكو نداء لتوحيد العالم الشيوعي .

ـ افتتح حاكم الكويت المجلس التاسيسي. اكد تعاون الكويت مع الدول العربية .

ـ فرض منع التجول في وهران بالجزائر. ووقعت اشتباكات دامية بين الاوروبيين وقوى الامن .

ـ المتمردون من جنود الكونغو يطلقون النار على طائرتين دوليتين . نقل غيزينغا الى ليوبولدفيل ووضع في حراسة القوات الدولية .

٢٢ ـ استقال جوليوس نيريري رئيس وزراء تانغانيقا وعين رشيد كاواوا خلفا له .

ـ رفضت فرنسا في مفاوضاتها مع تونس الموافقة على مواعيد محددة لسحب قواتها من قاعدة بنزرت .

ـ تسلمت اندونيسيا اخر دفعة من ١٨ طائرة حربية بريطانية . سوكارنو يؤكد استعداده للمفاوضة مع هولندا ويحث الجيش على الاستعداد .

٢٣ ـ جرت محاولة لاغتيال ملك نيبال في كاتماندو . نجا الملك ماهندرا واعتقل مشبوهون

ـ عاد ميكويان الى موسكو من جولته في غينيا وغانا ومالي والمغرب .

ـ تفاقمت حركة الاضطراب بين الطلاب ورجال الامن في طهران . اعتقلت الحكومة زعماء الجبهة الوطنية حزب الدكتور مصدق.

ـ اعطيت اوامر للقوات الحيادية والشيوعية في لاوس بوقف اعمال العنف ضد الحكومة الموالية للغرب .

٢٤ ـ فرضت الخدمة العسكرية الاجبارية في المانيا الغربية .

ـ صدر بلاغ مشترك عن المحادثات السورية العراقية التي جرت في دمشق يشير الى اقامة تعاون دفاعي عسكري بين البلدين .

ـ الملك الحسن وبن خدة يعلنان بدء العمل لتحقيق المغرب العربي المتحد .

ـ شكلت لجنة الامم المتحدة لتصفية الاستعمار في العالم .

– خصصت المانيا الغربية ثلث موازنتها لشؤون الدفاع .

– امين الامم المتحدة يطلب قوات جديدة للكونغو .

– اكتشف المكتب السياسي ومكتب الاستخبارات لمنظمة الجيش السري الفرنسي في ضواحي الجزائر .

– قتل ٢٢ شخصا في تظاهرات اجتاحت كاراكاس عاصمة فنزويلا تاييدا لكاسترو .

٢٥ – شكلت لجنة مغربية جزائرية لوضع اسس انشاء اتحاد دول المغرب على ان يبقى الباب مفتوحا لانضمام الدول الاخرى الافريقية من السلوم الى الدار البيضاء .

– اعلنت واشنطن قبول باكستان تسوية نزاعها مع الهند على كشمير .

– في مؤتمر وزراء خارجية جامعة الدول الامريكية دعت الولايات المتحدة لمقاطعة نظام كاسترو للنجاة من الشيوعية والتمتع والافادة من برنامج كنيدي « التحالف للتقدم » .

– افتتح في لاغوس مؤتمر الدول الافريقية المستقلة وقاطعته دول مؤتمر الدار البيضاء لاغفال دعوة حكومة الجزائر .

٢٦ – صرحت المصادر الفرنسية بان فرنسا والحكومة الجزائرية المؤقتة توصلتا الى الاتفاق على ثلاثة امور رئيسية .

– اعلن بورقيبة موافقة تونس استئناف المفاوضات مع فرنسا في اول يوليو ولكن العلاقات ستبقى مقطوعة والنضال مستمرا .

– تعهد تشومبي لكبير ممثلي الامم المتحدة بانه قريبا لن يبقى مرتزقة من البيض في كاتانغا .

– اعلن الغرب ان الروس بدلوا موقفهم مرة اخرى في مباحثات حظر التجارب ونزع السلاح في جنيف .

٢٧ – استقال بهجت التلهوني رئيس الوزارة الاردنية . شكل وصفي التل الوزارة الجديدة .

– زار كنيدي الملك سعود في الدار التي يكمل فيها نقاهته بعد معالجته في مستشفى بوسطن .

٢٨ – اعلنت حكومة سيلان انها سحقت محاولة للقيام بانقلاب والقت القبض على عدد من كبار الضباط .

– اعلن الدكتور اميني ان ايران اتهمت روسيا بالتحريض على اضطرابات الطلاب في طهران واحتجت لدى موسكو على التدخل في شؤونها .

٢٩ – جددت باكستان طلبها بعقد مجلس الامن فورا للبحث في قضية كشمير .

٣٠ – رزق الملك حسين ولدا اسماه عبد الله واعلنه ولي عهده .

– اجتمع مجلس الامن لبحث قضية الكونغو بطلب من روسيا ، وأقر المجلس اقتراحا امريكيا بارجاء مناقشة القضية .

– اعتقل الجنرال لوندولا الجنود المتمردين الذين ذبحوا ٢٢ مبشرا كاثوليكيا في الكونغو .

٣١ – قرر مؤتمر منظمة الدول الامريكية طرد كوبا من مجالس المنظمة لان نظامها الشيوعي يعارض النظام الامريكي .

– اصدر مؤتمر رؤساء الدول الافريقية العشرين المنعقد في لاغوس قراراته وهي تقضي باقامة كتلة افريقية في الامم المتحدة واتخاذ الخطوات لانشاء سوق افريقية مشتركة والمطالبة بمنح الاقطار الافريقية غير المستقلة استقلالها . وقرر المؤتمر انشاء اتحاد جمركي اقليمي .

– اعلن نهرو ان الهند مستعدة لتوقيع تعهد بعدم الحرب مع باكستان .

– وافقت الجمعية العامة على مشروع قرار يدعو البرتغال الى تحقيق استقلال انغولا ووقف الاجراءات التعسفية واطلاق سراح المعتقلين .

فبراير ١٩٦٢

١ – عقد في باريس مؤتمر سفراء لبنان في اوروبا والقارة الامريكية برئاسة وزير خارجية لبنان .

– اعلن الملك حسن وبن خده عن تشكيل لجنة جزائرية مغربية دائمة على مستوى وزاري لانشاء اتحاد المغرب .

– اجتمع السفير الامريكي بوزير خارجية روسيا واستانفا المحادثات غير الرسمية على برلين .

٢ – اجل مجلس الامن مناقشة قضية كشمير الى ما بعد الانتخابات في الهند التي ستجري في اخر الشهر .

– استقال فانفاني رئيس الحكومة الايطالية تمهيدا لتشكيل حكومة ائتلافية .

– وصل ادولا رئيس حكومة الكونغو الى نيويورك وخطب في الجمعية العامة .

– قصفت قوات بانيت لاو الشيوعية قرية نام تا عاصمة المقاطعة اللاوسية الشمالية وقد القى الامير بون اوم رئيس الحكومة اجتماعه بالامير الحيادي سوفانا فوما وطلب تراجع قوات بانيت لاو الى مراكزها السابقة .

٣ – افتتح هيلا سلاسي في اديس ابابا المؤتمر الافريقي لحركة تحرير دول شرق ووسط افريقيا الذي حضرته وفود ١٥ بلدا .

– قرر كنيدي فرض حظر تام على واردات الولايات المتحدة من كوبا .

٥ – وصل تيتو الى القاهرة واجتمع بعبد الناصر .

– اعلن ديغول عن اقتراب موعد اعلان اقتراحات فرنسا وعروضها بشان تسليم الجزائريين زمام مصيرهم لاقامة دولة مستقلة .

– اعلنت واشنطن ان الوضع في لاوس خطر جدا .

– خروشوف وكاسترو يتلاقيان في حملة يشنانها على واشنطن وحصارها على كوبا .

– اجرى كنيدي وادولا محادثات وافية عن كاتانغا ومشاكل الكونغو الاقتصادية .

٦ – نفت موسكو شائعة محاولة اغتيال خروشوف .

– اصدرت حكومة الجزائر المؤقتة بلاغا يعلن انها اتخذت القرارات اللازمة بعد ان درست الموقف واخر ما جد فيه .

– فاز حزب المزارعين الحاكم في فنلندا الذي يتزعمه رئيس الجمهورية كيكونن بالانتخابات البرلمانية .

٧ – اتفقت امريكا وبريطانيا على تبادل جزيرة كريسماس ونيفادا لتجاربهما النووية .

– كاتانغا تتهم جيش الكونغو بدفن القرويين وهم احياء في منطقة البرت فيل .

– سافر المارشال دهاني على رأس بعثة عسكرية الى موسكو لاستعجال شحن الاسلحة الى اندونيسيا .

– توفي الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس الوزارة الاردنية الاسبق واحد المشتغلين البارزين في الحقل الوطني والعربي .

٨ – اعلن ماكميلان الاتفاق الذي مع امريكا : تجارب بريطانية تحت الارض بعد اسابيع وتجارب امريكية في الجو تشترك فيها بريطانيا .

– اعلن وزير خارجية النروج معارضته جعل حلف شمال الاطلطي قوة نووية رابعة .

– رفض اديناور اجراء مفاوضات ثنائية مع روسيا على قضيتي برلين والمانيا .

– اعلنت بريطانيا ان جزيرة جامايكا ستصبح دولة مستقلة في ٦ اغسطس المقبل .

٩ – اضربت باريس مدة ساعة احتجاجا على مقتل ٨ اشخاص وسقوط ٢٠٠ جريح خلال المظاهرات ضد منظمة الجيش السري الارهابية واصطدام المتظاهرين بقوى الامن .

– قطعت الارجنتين علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا .

– حملت موسكو على الاتفاق الذري الانكلو امريكي .

– طلبت اسبانيا المشاركة في السوق الاوروبية .

– احتجت البانيا على اقصائها من مؤتمر دفاع حلف فرصوفيا .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت : ٢٤٦١٨٥